تنبيـــه هـــام: إن هـــذه الجـــريـدة تتضمـن آيـات من القـــرآن الكـــريم فـــالـواجـب عـــدم امتهـانـهـــا

قال سبحانه وتعالى:
«قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ»
يوسف 108.

السبيل

خط رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا وقال: هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمينه وعن يساره وقال: هذه سبل على كل سبيل شيطان يدعو إليه ثم قرأ:
«وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ»
حديث صحيح

جريدة أسبوعية مستقلة شاملة تصدر مرة في الشهر مؤقتا ـ المدير المسؤول: إبراهيم الطالب ـ رقم الإيداع القانوني: 2005/0096 ـ العدد 12 - 05 جمادى الثانية 1427 هـ الموافق 01 يوليوز 2006م ـ الثمن 5 دراهم

ـ ملف العدد ـ

التغـريـب هدم للدولة والدين

تقرؤون في هذا الملف:

- ـ هذا هو التغريب.
- ـ كيف دخل التغريب إلى المجتمعات المسلمة.
- ـ المغرب وخطورة المد العلماني التغريبي.
- ـ المغرب والحرب الفرنكفونيـة.
- ـ التغريب وتقويض الهوية.
- ـ مظاهر التغريب داخل مجتمعنا المغربي.
- ـ الأخذ بالتقنية الحديثة لا يقتضي تبنّي القيم الغربية.
- ـ "طه حسين" أبرز دعاة التغريب.

الصفحات: 14 إلى 20

من يجيب عن أسئلة المغاربة؟ ومن يكف عنهم استهزاء البرلماني اليساري بالقرآن؟

كثيرة هي الأسئلة التي أصبح المغاربة المتشبثين بدينهم وهويتهم يطرحونها والتي تعكس القلق الشديد الذي أصابهم خصوصا بعد أحداث 16 ماي الأليمة التي جعلت العلمانيين يصولون ويجولون ويسمون بالتكفير من يشاؤون وبالتفسيق والتبديع من يكرهون محاولين تكميم الأفواه وإرهاب النفوس والأذهان.

لذا فأغلب المغاربة يتساءلون:

- إلى أي مدى يمكن للمواطن المغربي المسلم أن يعتبر نفسه في مأمن من الغزو العلماني القذر؟
- وكيف يمكن له أن يعبر عن قناعاته الدينية في ظل الالتباس الطاغي على الكيفية التي تساس بها الشؤون الدينية؟
- هل اختزل المذهب المالكي في السدل وأحكام الحيض والنفاس ولم تعد له صلة بفقه البيوع والمعاملات المالية والتجارية وتوضيح الحلال والحرام للناس بخصوصها؟
- وهل ما يزال لعالم الدين الحق في توجيه المواطنين وإرشادهم في نوازلهم اليومية التي لها صلة بالنظام العام؟

تتمة صفحة: 6

ما السِّرّ وراء الحرب على الجمعيات الخيرية الإسلاميـة

الصفحة: 30

العدد 12 - 05 جمادى الثانية 1427 الموافق لـ 01 يوليوز 2006

كلمة العدد

من يقف وراء الإرهاب الفكري في المغرب؟

"أظن أننا لسنا في حاجة للتذكير بالدور الذي لعبه المستعمر في تكوين نخبة من المثقفين والساسة وتمكينهم من أهم المؤسسات الحيوية، وذلك قصد تغيير قناعات المسلمين والحيلولة دون استمرار التأطير الديني لسلوكهم، فيصبح المسلم مسخا لا هوية له ولا هدف، وكذلك وقع.

قال "صموئيل زويمر" في مؤتمر القدس عام 1935م: "لقد قبضنا أيها الإخوة -يعني المنصرين المستعمرين- في الفترة من الثلث الأخير من القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا (1935م) على جميع برامج التعليم في المالك الإسلامية، وقد أعددتم من خلالها نشئًا في ديار المسلمين، لا يعرف الصلة بالله، ولا يريد أن يعرفها، وأخرجتم المسلم من الإسلام، ولم تدخلوه في المسيحية، وبالتالي جاء النشء الإسلامي طبقا لما أراد له الاستعمار المسيحي؛ لا يهتم بالعظائم، ويحب الراحة والكسل، ولا يعرف همه في دنياه إلا في الشهوات؛ فإذا تعلم فللشهوات، وإذا جمع المال فللشهوات، وإن تبوأ أسمى المراكز ففي سبيل الشهوات، ومن أجلها يجود بكل شيء..".

والقارئ الكريم بنظرة لا تحتاج إلى إمعان، سرعان ما يتبين له أن هذه الصفات تنطبق بحذافيرها على شخصية النخبة المتعلمنة، والتي ملّتها عيون المغاربة وأسماعهم من كثرة ما تقتحم عليهم بيوتهم عبر الشاشات والصحف والمجلات والإذاعة، ومن طول مكوثها على رأس الإدارات والمؤسسات دون أن تغيِّر السيِّء أو تتغير إلى الأفضل، بل ما زال همها اكتناز المال العام مستغلة نفوذها وسلطتها، فمعظم من كان يرفع شعارات الإصلاح ويحطم طاولات الاجتماع على المجتمعين أيام كان معارضا تقدميا علمانيا يناضل من أجل "البروليتاريا" ضد البورجوازية صار اليوم أميرا للقراصنة، إما في أعالي البحار أو في هكتارات القطاع الفلاحي والمالي، فما فتئت الشكايات ترفع والمحاكمات تعقد ولم يتغير شيء.

إن النشء الذي تحدث عنه "زويمر" يمثله في حياتنا الراهنة أولئك الذين يمارسون علينا الإرهاب الفكري اليوم، الذين يرفعون شعارات مناهضة الحقد والكراهية ليهدموا الدين والشريعة، الذين يشنون الحرب على خطباء المساجد لأنهم يدعون على "شارون" و"بوش"، وأولئك الذين يرون أن الإسلام دين روحاني مثل دين النصارى فلا يجب أن تترك له مهمة تأطير سلوك الناس سواء الاقتصادي أو الاجتماعي، أولئك الذين يقلصون حصص التربية الإسلامية ويدعون إلى الاختلاط في المدارس والأحياء الجامعية رغم كثرة الإجهاضات التي تذهب ضحيتها فتياتنا، وبدل أن يضبطوا مدارسنا بالضوابط الإسلامية، يوزعون على أبنائنا العوازل الطبية في الجامعات حتى يمارسوا اتصالات جنسية مسؤولة- !!وللأسف نسمع هذا الكلام على شاشة التلفاز 2M -(sidaction) فالاتصال الجنسي المسؤول عند هؤلاء العلمانيين هو الذي تستعمل فيه العوازل الطبية ويخضع لشروط الوقاية لا الذي يكون وفق الشرع الإسلامي وينضبط بأحكامه.

فإذا كان اليساريون العلمانيون يتنادون إلى توحيد الصف وتحديد العدو ويصرحون على شاشة التلفاز دون خجل أو حياء أن عدوهم هو كل محافظ (برنامج حوار الكحص الوزير كاتب الدولة المكلف بالشباب) فالواجب أن يتجند كل العلماء المحافظين وطلبة العلم النجباء لتحذير الشباب والشيب من سموم الفكر العلماني الخبيث، حرصا على مستقبل المغرب دولة وشعبا.

إن المغرب المسلم لا حياة له بلا إسلام، والعلمانية لا تعترف بالدين إلا لتُجْهِز عليه، كما أنها لا تعترف بإمارة المؤمنين إلا لتفرغها من محتواها حتى إذا أضعفها العلمانيون أعلنوها جمهورية، وهذا هو الهدف من وراء المطالبة بالتعديلات الدستورية، وهو الغاية من الحرب العلمانية على القيم والشعائر الدينية والتي من جملتها البيعة بين الراعي والرعية."

السبيل

ضرورة الاهتمام بالسيرة النبوية

ما أحوجنا في زمن انحلت فيه الأخلاق والآداب، وكثرت فيه الشهوات والشبهات، واقتدى الناس فيه بمن حاد عن الصواب إلى القدوة الحسنة التي تحمل الناس على الخير وتبعثهم على الاستقامة.

ولا أعظم ولا خير ممن جعله الله تعالى قدوة لنا فقال سبحانه: "لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً".

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره للآية: "هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله صلى الله عليه وسلم في أقواله وأفعاله وأحواله؛ ولهذا أمر الناس بالتأسي بالنبي صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب، في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظاره الفرج من ربه عز وجل، صلوات الله وسلامه عليه دائما إلى يوم الدين؛ ولهذا قال تعالى للذين تقلقوا وتضجروا وتزلزلوا واضطربوا في أمرهم يوم الأحزاب: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) أي: هلا اقتديتم به وتأسيتم بشمائله؟ ولهذا قال : (لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا)".

فالآية تكلفنا بالاقتداء به صلى الله عليه وسلم والسير على طريقته وتعتبر سيرته التطبيق العملي لذلك.

ومن ثم كان السلف الصالح رضوان الله عليهم كما يتعلمون القرآن ويعلمونه، يتعلمون سيرة النبي العدنان عليه الصلاة والسلام ويعلمونها ففي "البداية والنهاية" للحافظ ابن كثير رحمه الله أن عليا بن الحسين رحمه الله كان يقول: "كنا نُعَلَّمُ مغازي النبي عليه الصلاة والسلام كما نعلم السورة من القرءان" 241/3.

فمن أراد التأسي فعليه الاقتداء بسيرة النبي عليه الصلاة والسلام في مختلف المجالات وفي شتى الميادين فقد كانت تصرفاته صلى الله عليه وسلم وهو الرسول الكريم باعتبارات متنوعة كما قرر العلماء: باعتباره وليا للأمة وإماما للمسلمين وباعتباره قاضيا، وباعتباره مفتيا، وباعتباره مرشدا وباعتباره ناصحا، وباعتباره عابدا لله شاكرا...

فالنبي عليه الصلاة والسلام أسوة حسنة لأئمة المسلمين، وأسوة حسنة للقضاة والمفتين، وأسوة حسنة للدعاة والمرشدين، وأسوة حسنة للرجل في بيته، وأسوة حسنة لعامة الناس أجمعين.

فهو عليه الصلاة والسلام أسوة حسنة لكل الطبقات والفئات.

فما أحوج الناس -إذن- إلى الوقوف عند سيرته الزكية ودراستها على وفق منهج الصحابة رضي الله عنهم وقواعد أهل السنة والحديث لا على طريقة العلمانيين والمبتدعين، مع العمل والسير على خطاها حيث لا ينبغي أن تقرأ السيرة النبوية قراءة قِصص وحكايات وإنما قراءة اعتبار وعظات.

فالمرء يجد في سيرة هذا النبي الكريم عليه الصلاة والسلام السلوك المثالي الذي تتساقط عنده دعاوى المغرضين والزائفين ويجد فيها الصورة المشرقة الحية للإنسانية الحقة، ويجد فيها مفتاح السعادة الحقيقية.

قال موفق الدين الشافعي رحمه الله: "ينبغي أن تكون سيرتك سيرة الصدر الأول فاقرأ السيرة النبوية وتتبع أفعاله واقتف آثاره، وتشبه به ما أمكنك..." السير 322/22.

فإذا كانت -إذن- السيرة ضرورية للإنسان بشكل عام، فإنها أشد ضرورة للإنسان المسلم في وقت كثرت فيه الدعوات الأرضية واشتد فيه الظلام وظهر الباطل على الحق ظهورا آنيا، وسيطرت فيه المادية فغيرت كثيرا من القيم السامية.

نعم ما أشد ضرورة العبد المؤمن لدراسة السيرة النبوية في زمن حار فيه الكثير من الناس فانغمسوا في القيم الهابطة التي غزت العقول والقلوب والمجتمعات.

نعم ما أحوجنا إلى أن نجعل سيرة نبينا عليه الصلاة والسلام مصدرا وأساسا للتأسي والاتباع، لأنها تجسيد حي لتعالم الإسلام كما أراد الله أن تطبق في عالم الواقع.

قال تعالى: "قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ".

لقد أصبحت حاجتنا إلى دراسة السيرة النبوية الشريفة أكثر من حاجتنا إلى المأكل والمشرب، لِما عمَّ وانتشر من فساد بين المسلمين حتى أوشكوا أن يعتبروه من الأمور الجائزة، إذ أصبحنا نسمع ونرى تنظيم مهرجانات "الهيب هوب" وتخصص له البرامج في الشاشات التي تمول بالمال العام، ويروج لها على أنها اختيارات للشباب وتعبيرات عن همومه، فلله المشتكى من حفنة العلمانيين الذين لم يتركوا ساقطا إلا أعلوا شأنه، ولا فاحشة إلا نشروها بين العباد.

السبيل

80% من المستمعين المصريين يفضلون إذاعة القرآن الكريم

كشفت دراسة ميدانية أجرتها الإدارة العامة لبحوث المستمعين والمشاهدين باتحاد الإذاعة والتليفزيون المصري أن 80% من المستمعين المصريين يحرصون على الاستماع إلى شبكة القرآن الكريم الإذاعية بارتفاع يُعد الأول من نوعه.

وحددت الدراسة أن أكثر البرامج استماعًا في هذه المحطة التي يزيد عمرها عن 42 عامًا هي برامج "التفسير وعلوم القرآن" ووصلت نسبتها إلى 99.10% تليها برامج زالسنة والسيرةس بنسبة 95.9% ثم برامج "الفقه والفتاوي" بنسبة 91.1% وبرامج "الفكر والثقافة الإسلامية" بنسبة 82.7% وأخيرًا برامج "الأسرة" بنسبة 65%.

وبالنسبة لما تقدمه الإذاعة الأشهَر في الأثير المصري من مضامين فاحتلت برامج "العبادات" النسبة الأكبر 81.6% وتلتها برامج "تفسير آيات القرآن الكريم" بنسبة 79 %ثم برامج "الفضائل والأخلاق الإسلامية" بنسبة 75.9% ثم "شرح الأحاديث النبوية" 70.5 %.

ومن المقترحات التي أشارت إليها الدراسة لتطوير إذاعة القرآن الكريم إنشاء موقع لها على شبكة المعلومات الدولية "الإنترنت"، وإذاعة برامج خاصة للرد على افتراءات أعداء الإسلام واستحداث برامج تقدم باللغات الأجنبية داخل وخارج مصر والاستعانة ببعض الدعاة الجدد الذين جذبوا إليهم الاهتمام في الفترة الأخيرة.

تقرير بريطاني يكشف ارتفاع معدلات الفقر في عهد "بلير"

كشف تقرير لمعهد الدراسات المالية في بريطانيا أن معدلات الفقر قد ارتفعت في بريطانيا خلال السنوات التسع التي تولّى فيها حزب العمال السلطة في البلاد.

وأوضح التقرير أن الفقر ازداد منذ عام 1997 إذا تم قياسه حسب معدلات الإنفاق وليس معدلات الدخل.

وأضاف أن معدل الفقر ارتفع من 20% إلى 22% في الفترة من 1996-1997 إلى 2002-2003 ذكر التقرير أن معدل الفقر بين الأطفال ارتفع إلى 11% لكنه انخفض إلى 15% وفقًا للمقياس الحكومي.

وأكد نفس التقرير أن القياس حسب الإنفاق كان مفيدًا، لأنه يوضح الوضع المادي للمواطنين بصورة أكبر.

وأضاف أن دخل الأفراد يتذبذب مع مرور الوقت، لكن الكثيرين لجأوا إلي القروض الربوية أو الادخار للحفاظ على مستوى معيشتهم.

في الوقت نفسه كشفت إحصاءات حكومية أن عدد العاطلين عن العمل في بريطانيا مازال في أعلى معدلاته منذ 3 سنوات.

وذكر مكتب الإحصاءات الوطني أن عدد الذين يعانون من البطالة ازداد من 44.000 إلى أكثر من مليون في الفترة الممتدة من يناير إلى مارس الماضي، وهي أعلى معدلات للبطالة منذ يونيو 2003م، لتسجل البطالة معدلاً يبلغ 5.2%.

"البنتاجون" يرفض إجراء تحقيق مستقل حول مزاعم الانتحار بجوانتانامو

رفضت وزارة الحرب الأمريكية "البنتاجون" الدعوات التي طالبت بفتح تحقيق مستقل حول مزاعمها عن حالات الانتحار الثلاث التي وقعت في بداية هذا الأسبوع في جوانتانامو.

وحسب "فرنس برس"، ادعى المتحدث باسم البنتاجون "براين ويتمان" أن الولايات المتحدة قادرة على التدقيق في إجراءاتها لمعرفة ما إذا كان يجب إجراء تعديلات، زاعمًا أن حالات الانتحار ستدرس بالشكل المناسب.

ودعت منظمة العفو الدولية إلى فتح تحقيق مستقل حول حالات الانتحار الثلاث، معتبرة أن هذا الأمر ملح للغاية.

وطالب مركز الحقوق الدستورية -وهي هيئة أمريكية تعنى بالدفاع عن عشرات المعتقلين في جوانتانامو- والجمعية الأمريكية للدفاع عن الحريات المدنية أيضًا بفتح تحقيق مستقل.

وشككت منظمات حقوقية في الرواية الأمريكية حول وفاة معتقلَيْن سعوديَيْن ومعتقل يمني في معسكر جوانتانامو والتي زعمت أنهم قاموا بالانتحار.

وقال ناشطون في حقوق الإنسان: إن معتقل جوانتانامو لا تصل إليه أعين المراقبين المحايدين، فمن السهولة قتل السجناء الموجودين فيه والادعاء أنهم انتحروا.

ونفت عائلة معتقل يمني تُوفي في جوانتانامو، المزاعم الأمريكية حول قيامه بالانتحار مع سعوديَيْن آخرين، قائلين: إن ابنهم جرى اغتياله.

ويزيد الرفض الأمريكي لإجراء تحقيق مستقل حول الظروف التي مات فيها المعتقلون الثلاثة من الشكوك حول قيام الإدارة الأمريكية بقتلهم.

أعلى معدل للجريمة بأمريكا خلال 15 عامًا وقع في 2005

أعلن مكتب التحقيقات الفيدرالية الأمريكي "إف بي آي" ارتفاع معدل جرائم العنف في الولايات المتحدة خلال عام 2005 بـ 2.5% يسجل بذلك أعلى معدل خلال الخمسة عشر عامًا الماضية.

أوضح المكتب أن نسبة جرائم القتل زادت بـ 4.8% وهي الأعلى منذ 15 عامًا، وارتفعت نسبة جرائم السرقة بـ 4.5%، في حين زادت نسبة الاعتداءات العنيفة بـ1.9%.

وفي المقابل كان الانخفاض الوحيد في معدل جرائم الاغتصاب حيث تراجعت نسبتها بـ 1.9%.

وأضاف أن أكثر مناطق الولايات المتحدة التي شهدت زيادة في الجرائم هي ولايات وسط غرب البلاد، حيث ارتفعت معدلات الجريمة فيها بنسبة5.7%، يليها ولايات الغرب بـ1.9% ثم الجنوب 1.8% وأخيرًا شمال شرق البلاد بـ 1.4%.

حالة طلاق من بين حالتي زواج بالاتحاد الأوروبي

ذكر مكتب الاتحاد الأوروبي للإحصاءات "أوروستات" خلال شهر مايو الجاري أنه يوجد نحو مليون حالة طلاق (أي طلاق 2.1% من بين كل ألف مواطن) من حوالي 2.2 مليون حالة زواج، أي زواج 4.8% من بين كل ألف مواطن في الاتحاد الأوروبي لعام 2004.

ويوجد بقبرص أعلى نسبة زواج حيث إنها 7.2% من بين كل ألف مواطن ثم الدانمارك التي بلغت 7% وتليها مالطا حيث بلغت بها النسبة 6%.

أما الدول الأعضاء في الاتحاد الذين يمثلون أكبر نسبة في الطلاق هي التشيك وليتوانيا (3.2 كل منهما) ثم أستونيا 3.1.

وهناك ما يقرب من 4.8 مليون طفل ولدوا في الاتحاد الأوروبي (بأعضاءه البالغ عددهم 25 دولة) في عام 2005، أي ما يمثل ميلاد 10.5 لكل ألف مواطن.

وقد سجلت إيرلندا أعلى نسبة في المواليد أي 15.2 ثم تليها فرنسا 12.7 وبعدها الدانمارك ولوكسمبورج، وبريطانيا 12 لكل بلد.

وكانت أقل نسبة في المواليد بألمانيا التي سجلت 8.6 ثم لاتفيا وتليها ليتوانيا 8.9.

ويعتبر ثلث هذه النسبة أطفال ولدوا خارج نطاق الزواج أي من زنا.

وتصل أعلى نسبة مواليد خارج نطاق الزواج إلى 55% في عام 2003 بأستونيا، ثم في السويد حيث بلغت 55%، وتليها لاتفيا بنسبة تقدر 45% وبعدها فرنسا حيث بلغت نسبتها 45% أيضًا.

وأقل نسبة تم تسجيلها في قبرص 3% واليونان 5% ثم إيطاليا 15%.

رئيس الجمعية الإنجيلية الدولية يحذر من مخاطر "المسيحية المتصهينة"

حذر رئيس الجمعية الإنجيلية الدولية "ستيفين سايرز" في ندوة عقدت بالقاهرة من المسيحية المتصهينة، وقال إنها تشكل خطرا حقيقيا على العالم.

وقال "سايرز" "إن الحديث عن حلم دولة اليهود من النيل إلى الفرات صار اليوم فعليا وليس رمزيا والكل ينتظر معه القدس عاصمة أبدية ل"إسرائيل" تنتقل إليها سفارات الدول ويعاد لهم فيها بناء الهيكل".

ولفت نظر الحضور إلى اكتساب الرئيس الأمريكي "جورج بوش" تأييد الإنجيليكانيين بنسبة 40% من أنصاره وتطور العلاقات بين المحافظين الجدد والمسيحية الصهيونية، وحسب مصادر مطلعة يرى "سايرز" في بقاء المسيحية السياسية في خدمة اليهود عبر منظمات تجمعها بقوى يهودية صهيونية تؤثر في صناع القرار داخل الدول الكبرى وخاصة الولايات المتحدة.

وحذر "سايزر" من انهيار الحوار بين الشرق والغرب في ظل تنامي فرص اشتعال الحروب داخل منطقة الشرق الإسلامي "الأوسط" بسبب سياسات القوى الاستعمارية والمسيحية الصهيونية الداعمة لها، داعيا إلى "الحديث عن مشتركات بدلا من الخلافات مع العالم العربي والإسلامي".

ودعا إلى الالتزام بالمقاومة لاستعادة السلام الشامل والعادل للمنطقة وهو الأسلوب الذي يؤيده القانون الدولي وإن تعارض مع إستراتيجية ومصالح أميركا أو أجندتها الإمبريالية المظللة بالدين".

العدد 12 - 05 جمادى الثانية 1427 الموافق لـ 01 يوليوز 2006

تنبيه هام: إن هذه الجريدة تتضمن آيات من القرآن الكريم فالواجب عدم امتهانها

العدد 12 - 05 جمادى الثانية 1427 الموافق لـ 01 يوليوز 2006

الأستاذ والباحث الأمريكي بجامعة "كلورادو": الولايات المتحدة دولة عدوانية!!

يمكننا نحن المسلمين بالطبع باعتبارنا أهم ضحايا الولايات المتحدة -عربياً وإسلامياً- أن نصف الولايات المتحدة الأمريكية بأنها دولة نازية أو عدوانية . . الخ . ولنا بالطبع كل الحق في ذلك بالنظر إلى ما فعلته بنا الولايات المتحدة وما فعلته بنا ربيبتها إسرائيل، ويمكن بالطبع لأي مؤرخ محايد أن يطلق من الأوصاف السيئة ما يشاء على الولايات المتحدة باعتبار سجلها في مجال الإبادة والاسترقاق والاستعمار والعدوان، بل حتى يمكننا أن نتوقع أن يكون هناك أمريكيون عندهم من الضمير ما يسمح لهم بانتقاد سياسات الولايات المتحدة من أمثال "ناعوم تشومسكي"، ولكن ما هو غير متوقع حتى الآن أن يصل الأمر بأحد الأمريكيين أن يبرر هجمات 11 سبتمبر ويعتبرها عملاً مشروعاً كرد على عدوان الولايات المتحدة على الشعوب الأخرى، وهذا بالتحديد ما فعله المفكر الأمريكي "وارد تشرشل" وهو أستاذ جامعي ورئيس قسم الدراسات العربية "الإثنية" بجامعة كلورادو الأمريكية. الدكتور وارد تشرشل قال: إن ما تزرعه تحصده وهذا ما حدث، وإن الخاطفين شنوا هجمات مضادة في مواجهة السياسة الخارجية الأمريكية المعادية في الشرق الأوسط وحملة الإبادة الجماعية في العراق التي نفذت من خلال العقوبات الاقتصادية التي فرضت عليها منذ عام 1990، وفي كتاب ينوي وارد تشرشل نشره قريباً أكد الرجل أن ضحايا مركز التجارة العالمي لا يمكن اعتبارهم أبرياء ووصفهم بأنهم "ايخمان صغار" في إشارة إلى "اودلف ايخمان" مجرم الحرب العالمية الثانية النازي المعروف. ويضيف "تشرشل": صحيح إنهم كانوا مدنيين بطريقة أو بأخرى، ولكن أبرياء لا أصدق هذا، إنهم كانوا يمثلون فيلقاً تكنوقراطياً في قلب الإمبراطورية المالية الأمريكية، وبالطبع فإن تصريحات وآراء الدكتور "وارد تشرشل" أثارت رد فعل غاضباً لدى اليمين الأمريكي واللوبي الصهيوني والمؤسسة الحاكمة في الولايات المتحدة الأمريكية "تحالف الرأسماليين والعسكر" وقطاع من المخدوعين من الشعب الأمريكي، ولكنه أيضاً تلقى تشجيعاً ودعماً من ذوي الضمائر ومن الطلاب الذين احتشدوا لسماع آرائه في الجامعة، ويمكننا بالطبع أن نتوقع نزول الأذى بالرجل من قبل تلك الأجهزة الجبارة، أو فصله من الجامعة أو تشويه آرائه. وبديهي أن الرجل لم يشجع قتل الأبرياء "رجال الإطفاء والمارة وعمال النظافة في موقع الحادث" ولكنه قصد العاملين في الدوائر المالية في برج التجارة العالمي وهم المقصودون طبعاً بالهجوم وقد عبر الرجل عن ذلك بقوله "إنه شعر بالأسى على رجال الإطفاء وعمال الخدمات الغذائية وعمال النظافة والمارة الذين قتلوا في حادث 11 سبتمبر، لكنه شعر بالأسى أيضاً لما يصل إلى 500 ألف عراقي لقوا حتفهم نتيجة العقوبات الأمريكية على العراق".

التحالف الأطلسي

قال الرئيس الأمريكي جورج بوش أنه سعيد بالتحالف مع أوروبا، وأن صفحة جديدة من العلاقات الأطلسية قد بدأت.

فهل يمكن أن يكون العقد القادم هو عقد التحالف الأطلسي، أو بمعنى آخر هل يشكل التحالف بين أمريكا وأوروبا السمة الرئيسية للعقد القادم، بهدف إعادة التحالف والتفاهم على جانبي الأطلسي، وعلى كل حال فهذا التحالف إن كان سيستمر هو تجسيد لفكرة صراع الحضارات التي قال بها "صمويل هاتنجتون" ذلك أن التناقضات الثانوية بين أمريكا وأوروبا -وهي تناقضات اقتصادية أساساً- زالت أو تخففت أو تركت مكانها لتحل محلها تناقض بين الحضارة الغربية على جانبي الأطلسي والحضارة الإسلامية عموماً والعربية منها خصوصاً، ونلاحظ هنا أن التقارب قد تم على قضايا تخص إيران وملفها النووي، وقضايا تخص الموضوع السوري اللبناني - باتجاه الموقف الأمريكي المتشدد والداعي إلى ذبح المقاومة وتأديب سوريا لصالح الكيان الصهيوني طبعاً، وكذلك على القضايا الديمقراطية في المنطقة العربية وهي تعني في المفهوم الأمريكي-الأوروبي القبول بإسرائيل والتعاون معها قبل أن تعني التعددية السياسية وتداول السلطة واحترام "حقوق الإنسان"، ونلاحظ هنا أن التقارب الأمريكي الأوروبي تم على خلفية تصاعد وقوة المقاومة العراقية وهو ما يشكل أولاً خطراً على المشروع الغربي برمته الأمريكي-الأوروبي وهو خطر أدركته دول أوروبا وفهمته وعبرت عن خوفها من انتصار المقاومة العراقية، وكذلك فإن فشل أمريكا في ذبح المقاومة العراقية جعلها تتراجع عن الانفراد بالكعكة ومحاولة بناء إمبراطورية أمريكية بتجاهل الشريك الأوروبي، الرئيس الأمريكي طبعاً سعيد بهذا التحالف ويرى أن صفحة جديدة من العلاقات الأطلسية قد بدأت ولكن أخطر ما في الأمر أن العرب أساساً سيدفعون ثمن هذا التحالف الأطلسي الجديد، فالوصول إلى أوروبا يمر عبر أمريكا، والوصول إلى أمريكا يمر عبر إسرائيل.

الاحتلال الأمريكي ينشر الرذيلة في العراق -خبر وتعليق-

الخبر

اعترفت مجلة نيوزويك الأمريكية أن الاحتلال الأمريكي تسبب في نشر الرذيلة بأنواعها المختلفة في العراق.

التعليق

زعم الأمريكان وآلتهم الإعلامية والمنافقون العرب ومن جملتهم شاكر النابلسي الذي تنشر أفكاره جريدة الأحداث المغربية لتشابه أفكاره مع ما يخطه صحفيوها، أن الجيش الأمريكي جاء إلى العراق لتحريره وبناء عراق حر مستقر ذي سيادة، وهو كلام لا يساوي شيئاً ولا يصدقه أحد، فبديهي أن الاحتلال في حد ذاته عدوان على السيادة والكرامة وحتى ولو كانت ممارسات الاحتلال كلها أخلاقية وقانونية ومتزنة وهذا مستحيل طبعاً نظرا لطبيعة الأشياء.

على كل حال فما بالك أنه بالإضافة إلى ضياع السيادة والكرامة، فإن الأوضاع أيضاً تسير من سيئ إلى أسوأ، فالبطالة وصلت إلى 70% واعتداء الجنود الأمريكيين على الأرواح والأعراض أصبح معروفا ومشهورا وحالات الفقر تزداد والبؤس هو سيد الموقف.

وبالإضافة إلى ذلك فإن الدعارة والرذيلة وشرب الخمر والمخدرات أصبحت ظواهر منتشرة في العراق بعد الاحتلال، والاحتلال في كل زمان ومكان يروج لهذه الظواهر أصلاً أو تنشأ بالضرورة معه لأسباب تتصل ببنية الاستعمار ذاته وما يخلقه من أوضاع وأحوال اجتماعية وسياسية في البلد المُحتل.

وقد اعترفت مجلة نيوزويك الأمريكية بذلك في تحقيق لها حول انتشار الرذيلة والدعارة والأقراص المخدرة والخمر بعد أن سيطرت القوات الأمريكية على مقاليد الأمور، وتضيف المجلة دون خجل أن ذلك يتم بتشجيع من القوات الأمريكية، وتسْخر المجلة بالتالي - ولا يمكنها إلا أن تسخر - من طبيعة الحرية التي جلبتها الولايات المتحدة الأمريكية إلى العراق.

انتشار الدعارة مثلاً أمر معروف في كل حالات الاحتلال الأجنبي ، لأسباب تتصل بالأزمة الاقتصادية من ناحية، وسقوط منظومة القيم من ناحية ثانية، وحاجة الجنود الأجانب إلى ذلك من ناحية أخرى، أما انتشار الخمر والمخدرات فهو نوع من محاولة تعويض النقص في الإحساس بضياع الكرامة بسبب الاحتلال أو هروب من معضلات اجتماعية وسياسية لا يقدر الفرد على حلها فيهرب إلى الخمر والمخدرات، ثم هي نوع من ضرب حيوية المجتمع وإضعاف مقاومته، وبالتالي فهي هدف استعماري ثابت سواء بجلب هذه المخدرات وبيعها مباشرة أو عن طريق وكلاء، أو بالتغاضي عن ذلك أو بالاثنين معاً.

السبيل

جريدة أسبوعية مستقلة شاملة
تصدر مرة في الشهر مؤقتا
الإيداع القانوني: 2005/0096
ملف الصحافة: 2 ن د 2004

رئيس التحرير:
إبراهيم الطالب
هيئة التحرير:
حماد القباج - رشيد مومن الإدريسي
نبيل غزال - علي نجم
أحمد السالمي - إبراهيم الوزاني
المسؤول المالي:
إبراهيم بيدون
قسم التوزيع:
ياسين حيسونة
الإخراج الفني:
ياسين بن خجو

العنوان: ص.ب 2177 سلا باب شعفة - سلا
الهاتف: 037.78.17.17
البريد الإلكتروني: assabil1@yahoo.fr
assabil1@menara.ma
السحب: صفابرانت
التوزيع: شركة سبريس

مفاهيم يجب أن تصحح

رشيد مومن الإدريسي

الحق لا يعرف بالرجـــال "اعرف الحق تعرف أهله"

الحق لا يعرف بالرجال اعرف الحق تعرف أهله: هذه كلمة عظيمة النفع، جليلة القدر أثرت عن علي رضي الله عنه، وتلقاه عنه الأئمة والعلماء بالقبول. انظر فيض القدير 17/1، والإحياء 53/1، وصيد الخاطر 36، وتلبيس إبليس 77 منتقاه، والجامع لأحكام القرءان 380/1، وأقاويل الثقات 222.

إلا أن كثيرا من الناس فهموا منها خلاف المقصود بها حيث ظنوا أن المرء يصل إلى أحكام الدين والشرع ويعرف ذلك بنفسه -وهو ليس أهلا لذلك- دون الاستعانة بالعلماء والاستضاءة بفهمهم، مع أن الله تعالى أحالنا عليهم في قوله: "فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون" فجعلهم سبحانه وسائط لمعرفة الحق وأدلاء عليه.

قال الشاطبي رحمه الله: "إذا ثبت أن الحق هو المعتبر دون الرجال فالحق أيضا لا يعرف دون وسائطهم، بل بهم يتوصل إليه وهم الأدلاء على طريقه" الإعتصام 548.

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: "..فأئمة المسلمين الذين اتبعوهم وسائل وطرق وأدلة بين الناس وبين الرسول عليه الصلاة والسلام، يبلغونهم ما قاله ويفهمونهم مراده بحسب اجتهادهم واستطاعتهم" الفتاوى 224/20.

وانظر"إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد" للصنعاني رحمه الله 105 وكتاب "لروح" لابن القيم 357.

ومن ثم قد ظهر بطلان ما فهم من هذه الكلمة، والناظر في كلام العلماء يجدهم يستشهدون بها في معرض ذمهم للتعصب والتحذير منه حيث إذا لاح للإنسان الحق فلا يجوز الالتفات بعد ذلك إلى غيره بدعوى صدوره من إمام كبير معظم في النفوس.!

قال الغزالي رحمه الله: "فاعلم أن من عرف الحق بالرجال حار في متاهات الضلال، فاعرف الحق تعرف أهله إن كنت سالكا طريق الحق وإن قنعت بالتقليد والنظر إلى ما اشتهر من درجات الفضل بين الناس، فلا تغفل الصحابة وعلو منصبهم" الاحياء 29/1.

وقال ابن الجوزي رحمه الله: "اعلم أن المقلد على غير ثقة فيما قلد فيه وفي التقليد إبطال منفعة العقل لأنه إنما خلق للتأمل والتدبر، وقبيح بمن أعطي شمعة يستضيء بها أن يطفئها ويمشي في الظلمة.!

واعلم أن عموم أصحاب المذاهب يعظم في قلوبهم الشخص فيتبعون قوله من غير تدبر لما قال وهذا عين الضلال، لأن النظر ينبغي أن يكون إلى القول لا إلى القائل كما قال علي رضي الله عنه لحارث بن حوط وقد قال له:"أتظن أن طلحة والزبير كانا على باطل؟

فقال له: يا حارث! إنه ملبوس عليك إن الحق لا يعرف بالرجال اعرف الحق تعرف أهله" اهـ تلبيس إبليس منتقاه 77 وانظر أقاويل الثقات 228، وصيد الخاطر 36-37.

ولذلك يقال: من الأخطاء التي يراها المرء في حياة كثير منا في هذا المجال أن ترى اختيارنا للأقوال ليس مبنيا على الاستدلال، وإنما بمجرد أن القائل بهذا القول إمام كبير! أو لأن القائل بهذا القول أكثر علما ممن قال بسواه! أو هو قول الأكثرين! أو لأن المقبل عليه أكثر! أو لأنه المشهور! أو نحو ذلك مما يدل على أن السالك لهذا الدرب حاله كحال العوام الذين يعتبرون الصناعة بالصانع كما قال المناوي رحمه الله: "ودأبهم (أي العوام) أن يعتبروا الصناعة بالصانع خلاف قول علي رضي الله عنه "الحق لا يعرف بالرجال اعرف الحق تعرف أهله" فيض القدير 171.

فالحق -إذن- لا يوزن بالرجال وإنما يوزن الرجال بالحق بل كل قول يُحْتَجُّ له خلا قول النبي عليه الصلاة والسلام فإنه يحتج به.

فعض على هذا الأصل بالنواجذ واحذر أن يلتبس عليك الأمر.

قال القرطبي رحمه الله عند تفسيره لقوله تعالى (وَلاَ تَلْبِسُواْ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُواْ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ)البقرة: " قوله تعالى (وَلاَ تَلْبِسُواْ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ) اللَّبس: الخلط. لبست عليه الأمر ألبسه إذا مزجت بيِّنه بمشكله وحقه بباطله، قال الله تعالى: (وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ)الأنعام، وفي الأمر لبسة أي ليس بواضح، ومن هذا المعنى قول علي رضي الله عنه للحارث بن حوط يا حارث إنه ملبوس عليك إن الحق لا يعرف بالرجال اعرف الحق تعرف أهله. وقالت الخنساء:

ترى الجليس يقول الحق تحسبه
رشدا وهيهات فانظر ما به التبسا
صدق مقالته واحذر عداوتــــه
والبس عليه أمورا مثل ما لبسا"

الجامع لأحكام القرءان 380/1.

قال الناظم:

فالحق لا يعرف بالرجـــــال
بل عرفوا بالحق في الأقوال

"مفتاح باب الجنة في نصرة السنة و الأئمة" لمحمد عبد الله المختار 10.

مفهوم المذهـــب

يقال إن الألفاظ قوالب المعاني، إذ كل لفظ له معنى لغوي استعمل فيه، وقد يكون معنى اصطلاحي انتقل إليه حسب الاستعمال والعلم الذي تعلق به مع بقاء وجه الربط بين المعنيين، وهو ما ينطبق على كلمة مذهب التي لها مدلول لغوي وآخر اصطلاحي.

<u>المذهب لغة واصطلاحا</u>

المذهب في اللغة مصدر ميمي يطلق على الطريق ومكان الذهاب وزمانه قال أحمد الصاوي: "المذهب في الأصل محل الذهاب كالطريق المحسوسة"حاشية الصاوي على شرح الصغير للدردير 161.

ونقل عند الفقهاء من حقيقته اللغوية إلى الحقيقة العرفية فيما ذهب إليه إمام من الأئمة في الأحكام الاجتهادية، فالمذهب المالكي مثلا هو ما ذهب إليه الإمام مالك من الأحكام الاجتهادية استنتاجا واستنباطا. انظر شرح الزرقاني على شرح اللقاني لخطبة المختصر 133، ونور البصر للهلالي 132.

ولذلك قال القرافي رحمه الله: "مذهب مالك ما اختص به من الأحكام الشرعية الفروعية الاجتهادية..." الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام 220.

وقال الدردير رحمه الله: "مذهب مالك مثلا: عبارة عما ذهب إليه من الأحكام الاجتهادية التي بذل وسعه في تحصيلها" حاشية الدسوقي على الشرح الكبير 191.

<u>حقيقة الاجتهاد</u>

الاجتهاد لغة: بذل الوسع والمجهود فهو افتعال من الجهد والطاقة. لسان العرب 133/3 واصطلاحا: قال السبكي رحمه الله: "هو استفراغ الفقيه الوسع لتحصيل ظن بحكم" جمع الجوامع 379/2.

فتبين من ذلك أن الاجتهاد له تعلق بالظنيات لا بالأدلة الصحيحة الصريحات. انظر إرشاد الفحول 370.

قال ابن أبي الأصبع الأندلسي رحمه الله في معالمه:

والاجتهاد إنما يكـــــون — في كل ما دليله مظنـــون
أما الذي فيه الدليل قاطع — فهو كما جاء ولا منـــازع

نقلا عن الصوارم والأسنة 152.

<u>المذهب والأحكام المنصوص عليها</u>

تبين من خلال ما بيناه أن المذهب اصطلاحا له تعلق بالأحكام الظنية المجتهد فيها، فيما لا دليل فيه صريح صحيح، أما ما كان فيه دليل صحيح صريح فلا اجتهاد فيه ولا نظر وهو المعبر عنه بقاعدة: "لا مساغ للاجتهاد في مورد النص".

قال السنوسي رحمه الله: "وإيضاح ذلك أن المجتهد مطلقا كان أو منتسبا إنما له التصرف في الأحكام الظنية فقط مما لا صريح نص في عينها... وأما الأحكام القطعية فالأئمة فيها سواء... فلا تعلق للاجتهاد بها إذ ليست من المجتهد فيه...

فالمراد إذن بقطعيتها كونها نصوصا صحيحة صريحة في عين مسائلها...ولا يوصف العامل بها بتقليد ولا اجتهاد كما غلط في ذلك كثير، بل بالإتباع ولو لم تتوفر فيه شروط الاجتهاد..." المسائل العشر40 وما يليها.

<u>ما دل عليه الدليل الصحيح الصريح أو أجمع العلماء عليه لا ينسب إلا إلى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم</u>

بناء على ما مر معنا من أن المذهب اصطلاحا هو ما له تعلق بالأحكام الاجتهادية الظنية فإن الأحكام التي دل عليها الدليل الصحيح الصريح لا يصح -في الأصل- نسبتها إلا إلى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

قال القرافي رحمه الله: "ينبغي أن يقال: إن الأحكام المجمع عليها لا يقال في شيء منها إنها مذهب الشافعي ولا مالك ولا غيرهما" الإحكام 199.

وقال الدردير رحمه الله: "الأحكام التي نُص عليها في القرآن أو في السنة لا تعد من مذهب أحد من المجتهدين" الشرح الكبير 91.

نعم قد ينسب ما هو منصوص عليه إلى مذهب من المذاهب على أنه يقول بذلك الحكم لا على المعنى الاصطلاحي للمذهب وهذا من باب التسامح فتنبه ففي زهينة الناسكز لابن عزوز رحمه الله ما نصه:

"قولنا في منصوصات الشارع: هذا مذهب فلان فيه تسامح إذ لا ينسب مذهبا لأحد إلا المسائل الاجتهادية التي لا نص فيها من الكتاب ولا من السنة ولا من الإجماع، والمنصوص لا يتفرد به أحد عن الآخر بالإجماع" نقلا عن الصوارم والأسنة 150.

قال العلامة الشنقيطي رحمه الله في الصوارم والأسنة 151-152

مذهب مالك إذا قيـل المراد — منه الذي لمالك فيه اجتهاد
وغيره مما عليه نـــص لا — يعد مذهبا له مؤصـــــلا
فعزو مذهب لذي اجتهـــاد — بعد وجود النص ذو فســاد
بل كل ما ثبت بالدليـــل — ينسب للإله والرســـــول

وقال محمد بن عبد الله ولد المختار في نظمه مفتاح الجنة في نصرة السنة والأئمة ص7 عندما ضمن في نظمه أبيات الشنقيطي رحمه الله الآنفة الذكر:

"قلت وما قد قاله محمـــــد — هو الجواب الحق نعم السيـد
وإن تسل عن الجواب الضابط — لا تنس ذا وقله قول ضابـط
فذا الجواب من به أجابـــا — ما مذهب الإمام قد أصابا" اهـ

وعليه فمجال المذهب (اصطلاحا) المسائل الاجتهادية التي تحتملها الأدلة الشرعية والقواعد المرعية لا غير، ومعلوم أنه لا ينقض الاجتهاد بالاجتهاد، واجتهاد المرء ليس بقاض على اجتهاد غيره ومن ثم قرر العلماء أنه "لا إنكار في مسائل الاجتهاد".

ومن ثم فكل ما كان من الأحكام الشرعية منصوصا عليه -صحيحا صريحا لا معارض له- فيجب أن يكون مذهبا للجميع أصلا أو بعد ظهوره وبيانه من باب قول العلماء: "إذا صح الحديث فهو مذهبي".

قال ابن عابدين رحمه الله: "نقل العلامة البيري في أول شرحه على الأشباه عن شرح الهداية لابن الشحنة الكبير...ونصه: إذا صح الحديث وكان على خلاف المذهب عمل بالحديث، ويكون ذلك مذهبه، ولا يخرج مقلده عن كونه حنفيا بالعمل به، فقد صح عن أبي حنيفة أنه قال: إذا صح الحديث فهو مذهبي، وقد حكى ذلك الإمام ابن عبد البر عن أبي حنيفة وغيره من الأئمة، ونقله الشعراني عن الأئمة الأربعة" شرح عقود رسم المفتي 241.

العدد 12 - 05 جمادى الثانية 1427 الموافق لـ 01 يوليوز 2006

العدد 12 - 05 جمادى الثانية 1427 الموافق لـ 01 يوليوز 2006

من يجيب عن أسئلة المغاربة؟ ومن يكف عنهم استهزاء البرلماني اليساري بالقرآن؟

بقلم: إبراهيم الطالب

(تتمة الصفحة الأولى)

- وهل ما يزال الإسلام دينا ودولة أم أنه كما يقول العلمانيون هو دين روحاني لا يهتم إلا بمسائل التأله والتعبد، وأن القضايا العامة هي من اختصاص رجال السياسة؟

فإن كان كذلك، فإلى من يتوجه المسلم بالسؤال عن حكم الشرع في بعض المعاملات التجارية من بيع وشراء ورهن وقرض و....؟

ومن يسأل عن مدى موافقة أو مخالفة المذاهب الهدامة الوافدة من البلاد الأجنبية العلمانية؟

هل يسأل عنها السياسي العلماني الذي يعتبر الدين إنما جعل للمسجد ولا ينبغي أن يخرج منه أم يسأل عن ذلك العالم والفقيه؟

وزارة الأوقاف وتحديات العلمانيين

من جملة الأسئلة التي يوجهها المغاربة إلى المسؤولين عن الحقل الديني السؤالين الآتيين:

- كيف يمكن للخطيب والعالم والفقيه أن يمارس دوره في الذب عن جناب العقيدة والشريعة ويمنع عنها تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين في ظل الإكراهات والأعباء الرسمية؟

وهل تنظيم الحقل الديني وتأهيله سيكون في اتجاه المزيد من نشر الإسلام وسيادة مفاهيمه أم أن الغرض من تأهيله هو خدمة المشروع العلماني الذي بات واضحا لكل ذي عينين أن أصحابه عاقدين العزم على تنفيذه رغم أنف الكل دون استثناء من خلال الوزارات والمؤسسات العمومية التي يديرونها من جهة، ومن خلال الدفع والضغط من الداخل والخارج في اتجاه تعديل دستوري يتم بموجبه التقليص من اختصاصات المؤسسة الملكية والحد من نفوذ إمارة المؤمنين حتى يسهل القضاء على آخر مظاهر الحكم الإسلامي بالمغرب والمتمثل في البيعة التي تربط بين المغاربة وأميرهم؟

هذين السؤالين والأسئلة السابقة وعشرات غيرها أضحت تؤرق بال المغاربة في حين نجد أن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الوزارة الوحيدة التي يمكن اعتبارها المعبر عن تطلعات وآمال المغاربة، والتي بدل أن تقوم بدور الحامي لدينهم وعقيدتهم نجدها للأسف الشديد ما فتئت تنكس رأسها أمام الهجمات العلمانية على الدين وأهله بل الأنكى من ذلك أنها تعمد إلى تعنيف موظفيها وخطبائها لفائدة بعض العلمانيين النافذين.

إننا نتفهم أن الحرب على الإرهاب والهجمة الغربية الشرسة على الإسلام، يشكلان هاجسا وإحراجا للمسؤولين، مما يجعل العلمانيين يستغلون ذلك أبشع استغلال، الأمر الذي يتطلب من المسؤولين إيجاد طرق أو برامج لكبح هذا العبث العلماني بمقدساتنا، أو الدفع باتجاه سن إجراءات وعقوبات تضمن حماية الدين وشريعته من إفساد العلمانيين أو على الأقل تفعيل الفصل: الخاص بجريمة زعزعة العقيدة بشكل صارم في حقهم.

قضية خطيب قرية أبا محمد وضعف الوزارة

إن قضية خطيب قرية أبا محمد دليل على ضعف وزارة الأوقاف أمام المد العلماني الكاسح، الذي أصبح يحتل يوما بعد يوم مجال واختصاصات القيِّمين الدينيين ورجالات الحقل الديني، ويمارس الرقابة على المساجد والمعاهد.

وإلا كيف يمكن أن نفهم موقفها من الإهانات التي تعرض لها خطيب قرية "أبا محمد" على يد باشا المنطقة -والتي افتخر بها البرلماني في جريدة الأسبوعية الجديدة- ، والخطيب المسكين لم يتعد أن قام بواجبه في الوعظ والإرشاد وحرص على ألا يذكر إسم ذلك البرلماني المستهزئ بالشريعة الإسلامية، بل اكتفى بتحذير الناس من مقالاته التي يستهزئ فيها بالقرآن الكريم ويلبِّس على الناس دينهم رغم كونهم وثقوا فيه لينوب عنهم، فبدل أن تقيم الوزارة الدنيا ولا تدعها تقعد، فضلت أن تزيد في إهانة الخطيب إذ فرضت على خطبه تأشيرة المجلس العلمي قبل أن يلقيها على المنبر-كما صرح بذلك وافتخر به البرلماني في جريدة الأسبوعية الجديدة.-

ونترك المسؤولين في الوزارة والقراء الكرام التأمل في بعض كلامه في مقال تحت عنوان زعندما تكذب أمة على نفسهاس والحكم عليه، وسننقله رغم طوله حتى يتبين من لا يعلم حقيقة العلمانيين مدى خطرهم على أبنائنا الذين يتكونون على أيدي الكثير منهم في المدارس والجامعات، يقول -عامله الله بعدله:-

"**الكذبة الأولى:** أن الإسلام هو الدين الوحيد عند الله ومن يبتغي غيره فلن يقبل منه، فإما مسلم وأنت أقرب إلى الله، وإما كافر وأنت عدو له وللإسلام.

الكذبة الرابعة: أن الإسلام دين الرحمة والرأفة، والحال أن فقهنا يقر بقتل المرتد، ورجم الزاني، وجلد السكير وشاهد الزور، وقطع يد السارق، وقطع الأرجل خلافا لمن أفسد في الأرض، والإعدام في القصاص.

الحقيقة هي أن حدود شريعتنا ليست سمحاء، إنها دموية.

وعلينا أن نعترف بذلك لأنها تشوه الإسلام، وتشوه الإنسان، وتتنافى مع أبسط مبادئ حقوق الإنسان.

الكذبة الخامسة: إن كل ما حرمته علينا شريعتنا هو خير لنا، لقد حرمت علينا شريعتنا الفائدة وهي طريق الادخار، وأساس الاستثمار، كما أحلت لنا النعجة وهي لا تلد إلا خروفا واحدا في السنة، ولا يتعدى وزنه 100 كليو غرام في أحسن الأحوال، وحرمت علينا "الحلوفة" وقد تلد ما يفوق 15 "حليليف" يفوق وزن الواحد منها عند سن الرشد 200 كيلو غرام في أسوأ الأحوال، والحال أنه لحد الساعة لم يثبت العلم أن أكل لحم الخنزير مضر بالصحة.

كما تعتبر شريعتنا أن لا خير فيما حرم الله علينا كالخمر، والحال أن أساسه هو الكحول، والكحول أساسي في الطب.

وكيف أن الخمر حرم علينا في الدنيا، وتجري به الأنهار في الجنة، فكيف به يكون مفسدة في الدنيا ونعمة في الجنة.

الحقيقة : أننا محتاجون إلى اجتهادات جديدة، وجريئة، لتطاوع شريعتنا معطيات العصر، ومتطلبات التطور.

الكذبة السادسة : أن الإسلام حرر المرأة والحال أن فقهنا يسمح لنا بالزواج بمثنى وثلاث، وأربع، وبما ملكت الأيمان، وسبايا الكفار، ويضع الطلاق في عصمة الرجل، ويبيح زواج القاصرات، ويحل ضرب النساء، ويفرض عليهن الحجاب، ويحرم عليهن الإمامة، وزيارة المقابر، ويقدمهن متعة، ويعتبرهن متاعا، ومصدرا للتحرش الجنسي، وفتنة للرجل، ويحرم عليهن الزواج من غير المسلم، بل هناك من يعتبرهن ناقصات عقل ودين، وقد ذهب البعض إلى الافتراء على النبي أنه قد يكون قال زلو كنت آمرا أحدا أن يسجد لأحد، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها« ... ولا فائدة في المزيد * ... الحقيقة هي أننا شريعتنا أضفت على دونية المرأة طابع الشرعية وعززتها بالقداسة الدينية.

الكذبة السابعة : أن ابتعادنا عن ديننا هو مصدر شقائنا وتخلفنا، والحال أنه هو الذي ابتعد عنا ولم يعد يطاوع معطيات عصرنا، .. فعندما نعجز عن تحليل الأشياء بالعقل والمنطق نردها إلى الله، ونقول هذا هو الحل، كما أراح ضمير حكامنا واستثناهم من المحاسبة لأن وضعنا مقدر ومسطر في اللوح المحفوظ، بالقدر الذي قوى سلطة فقهائنا علينا، لأن تطور العصر يتطلب الإفتاء في سلوكاتنا حتى لا نخالف شريعتنا، بل منهم من أفتى بالجهاد، وجعل من الإرهاب نصرة للإسلام وطريقا للجنة.

الحقيقة : أن تحررنا من التخلف مرتبط بتحرر ديننا من التحجر والتزمت، وأن صلاحنا رهين بصلاح شريعتنا.

الخلاصة، والأصح نافلة القول : هي أن صلاحنا لا يكمن في صلاح أنفسنا، بل في صلاح ديننا، لأن حرية الرأي وحرية التعبير والديمقراطية آتية لا ريب فيها، فإما طوعا، وإما قصرا. فطوبى للاتحاد الأوربي الذي فرض على تركيا حذف عقوبة الزنا والإعدام، وأمرها بسن قانون يعترف بحرية اختيار الدين، وبحرية الضمير. وليس لتركيا في ذلك من اختيار إن هي أرادت الانضمام إلى الاتحاد الأوربي. وطوبى للأمريكيين الذين أقنعوا الكويتيين بأن مشاركة المرأة في السياسة هو من متين الدين، وتبا لهرقل الذي فرق بين المغرب وأوربا، لأن الاحتكاك بأوربا يولد التقدم والحرية والانتماء إلى أمة الإسلام في وضعها الحالي يولد التخلف والإرهاب".

فإذا لم تكن هذه زعزعة لعقيدة المغاربة فماذ تكون؟

فكيف بعد هذا يمكن أن نثق بأن العلمانيين ليسوا أعداء الدين وأنهم لا يعادون إمارة المؤمنين وأنهم يريدون الإصلاح وليس الإفساد، ولهم في ادعاء الإصلاح مع الإصرار على الفساد سلف، فقديما قال فرعون: { ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ} غافر26

فليس هناك صلاح بعد إفساد الدين، والعلمانيون اليساريون هم أعداء للعلماء منذ أن وجدوا، ورحم الله الشيخ الجليل عبد الله كنون الأمين العام السابق لرابطة علماء المغرب، فقد كان لا يترك فرصة تمرُّ حتى يحذر المغاربة من سموم العلمانيين اللادينيين، وما كان أجرأه على الحق، حيث كان يصفهم على صفحات جريدة الميثاق - لسان الرابطة المذكورة- بالمرتدين والملحدين، وهذا بالتمام ما وصفهم به الخطيب المسكين.

فماذا ينفعنا تأهيل الحقل الديني إذا تركنا العلمانيين يعيثون فيه فسادا؟

وهل يمكن أن يبقى للإمامة الكبرى وجود إذا تركناهم يلوثون عقول الشباب المغربي بالشبهات حول دينه وكتاب ربه؟

لذا ينبغي علينا جميعا أن نعلم أنه إذا كانت العلمانية اليوم مهيمنة على بعض المؤسسات، وتصول وتجول، ولا تتورع في نشر عقائدها الفاسدة في الأمة، فليس لكونها قوية أو مقنعة، وإنما لأن مواجهتها من طرف العلماء وطلبة العلم من خلال مجالسهم العلمية وجمعياتهم ضعيفة جدا، ولا يقوم بها إلا من له تصور صحيح لخبثها وخطرها على الحرث والنسل.

من الآثار المدمرة للسيـــاحة

ثلاثة ملايين طفل في قبضة الاستغلال الجنسي سنويًا

من الجهات أيضا جزر الكاريبي، وتضرب كوبا مثلا لتلك الجزر، حيث تنتشر دعارة القاصرات شاهدة على حقائق مجتمع متفسخ، وكذلك الأمر بالنسبة لجمهورية الدومينيك، إذ تستقبل سانت دومينغ كل سنة حوالي مليوني سائح 30% منهم من أميركا الشمالية، و60 من ألمانيا، و96 من السائحين رجال.

ومن وجهات السياحة الجنسية أفريقيا، لأنه بعد كارثة تسونامي التي ضربت جنوب شرق آسيا في ديسمبر 2004, أصبح السياح الجنسيون يتوجهون إلى بلدان أفريقية مثل المغرب وموريتانيا والسنغال وكينيا ومدغشقر وزامبيا.

مادام المغرب يعتمد في اقتصاده على السياحة، ويرفع شعار 10 ملايين سائح، صار من اللازم المحتم أن تشكل الحكومة المغربية -إذا كان يعنيها أن يبقى المغرب ذا قيم إسلامية وأن تحافظ على عرض أبنائها وكرامتهم- هيئات ولجنا تتكفل بدراسة الانعكاسات والآثار المدمرة التي من المؤكد أن تخلفها السياحة على مختلف الأصعدة، والتي تعاني منها كل الدول السياحية في العالم.

ومما يزيد من خطورة المسألة ويجعلنا ملزمين بالمساهمة كل من موقعه وحسب استطاعته في التحذير من مغبة التفريط في دراسة الانعكاسات السلبية للسياحة، ما يشهده العالم من حركة سياحية كبيرة كل عام تصل إلى 600 مليون سائح يقصدون كل جهات الدنيا في كل الفصول، ومن بين هؤلاء المسافرين وفود يتضاعف عددها بوتيرة سريعة، لا يقصدون المشاهد الطبيعية وبهاءها، والأرض وماءها والجبال وفضاءها، ولكنهم يهرعون إلى إرواء نزواتهم الجنسية بألوان شتى وأشكال أخرى لا توجد في بلدانهم ولا يستطيعون الحصول عليها لموانع قانونية أونفسية.

وقد أشار تقرير نشره موقع "الجزيرة.نت" الإليكتروني أنه يوجد حوالي ثلاثة ملايين طفل تحت قبضة الاستغلال الجنسي كل سنة أغلبهم من أطفال الشوارع.

ووفق بيانات اليونيسيف يوجد حوالي 200.000 سائح جنسي لا يتركون جهة من جهات العالم إلا حلوا بها وارتحلوا إليها، سواء كانت غنية أو فقيرة.

ويخرج السائحون الجنسيون من الولايات المتحدة الأميركية ومن كندا وأوروبا الغربية واليابان وأستراليا والصين... وأربعة من كل عشرة منهم يتجهون نحو تايلند، وأقلية صغيرة منهم تسيح عبر شبكة جنسية منظمة، بينما الأغلبية يسافرون مستقلين عبر مسار قديم معروف أو عبر أسفار عمل.

وتستولي السياحة الجنسية على نصيب متصاعد من دعارة الأطفال القاصرين حسب معطيات اليونيسيف، إذ يوجد حوالي ثلاثة ملايين طفل تحت قبضة الاستغلال الجنسي كل سنة أغلبهم من أطفال الشوارع.

وتعد السياحة الجنسية تجارة مربحة للمنظمات الإجرامية، ويتعلق الأمر بصناعة حقيقية تزن حوالي خمسة مليارات دولار.

وتعرف الخريطة الجغرافية للسياحة الجنسية تطورا مستمرا وتحولا يستجيب للقوانين المتبعة في كل بلد، فلما اتخذت تايلند والفيليبين إجراءات صارمة ضد المعتدين ولوا وجوههم شطر وجهات جديدة مثل كمبوديا ولاوس اللتين كانتا من الأماكن المقصودة من قبل.

والآن تساق كثير من الفتيات القرويات الفقيرات القاطنات في ضفاف دلتا نهر الميكونغ الطويل من طرف القوادين مقابل 500 دولار.

ومن الجهات الجديدة الهند خاصة منطقة غويا، وقد قصدها سماسرة الاستغلال بعد تشديد الفيليبين لقبضتها، حيث وصل رقم الأطفال من ضحايا السياحة الجنسية إلى حوالي 100.000 طفل.

ومنها كذلك أميركا اللاتينية، إذ بعد أن انتشرت الظاهرة في البرازيل وكوبا، أصبحت كوستاريكا وجمهورية الدومينيك مستنقعات جديدة للسياحة الجنسية.



صهـــريـــج المنــــارة

وحسب المنظمات المدنية النشيطة بكوستاريكا يوجد حوالي 250 وجهة لدعارة القاصرين، وبالنسبة للمنظمة الكوستاريكية للدفاع عن حقوق الطفولة والمراهقة يتعرض نصف القاصرين للاستغلال الجنسي بين سن الثامنة وسن الثانية عشرة، ومن المحتمل جدا أن يكونوا قد عانوا من أشكال العنف الجسدي والجنسي من قبل.

ومن الجهات أيضا جزر الكاريبي، وتضرب كوبا مثلا لتلك الجزر، حيث تنتشر دعارة القاصرات شاهدة على حقائق مجتمع متفسخ، وكذلك الأمر بالنسبة لجمهورية الدومينيك، إذ تستقبل سانت دومينغ كل سنة حوالي مليزوني سائح 30% منهم من أميركا الشمالية، و60% من ألمانيا، و96% من السائحين رجال.

وحسب إحصائيات اليونيسيف يمثل هؤلاء السياح زبائن للأطفال والفتيات بنسبة تتراوح بين 30% و80%.

وتقول إحصائيات اليونيسيف إنه من بين الأطفال والفتيات الدائرين في رحى الاستغلال الجنسي توجد نسبة 30 ممن تتراوح أعمارهم بين 12 و15 سنة، وإن مجموع الأطفال المستغلين يصل إلى 25.000 طفل، 63% منهم فتيات.

ومن وجهات السياحة الجنسية أفريقيا، لأنه بعد كارثة تسونامي التي ضربت جنوب شرق آسيا في ديسمبر 2004 أصبح السياح الجنسيون يتوجهون إلى بلدان أفريقية مثل المغرب وموريتانيا والسنغال وكينيا ومدغشقر وزامبيا.

وتشير الإحصاءات إلى أنه بين عامي 1995 و2000 اعتقل حوالي عشرين بريطانيا في تايلند بتهمة الغلمانية دون أن يحاكم أي واحد منهم، وكانت أول مرة يحاكم فيها سائحون جنسيون بريطانيون هي سنة 2000.

وبوصفنا بلدا مسلما ما زال المواطن فيه يدين بالإسلام ويعتبر الحرام حراما والحلال حلالا رغم الهجمات العلمانية الشرسة على معتقداته وقناعاته وسلوكه، وجب علينا أن نتجند لإبراز الأخطار التي من المؤكد أنها ستصاحب ارتفاع عدد السياح الذين يقصدون بلدنا خصوصا وأن الكثيرين منهم لا يتورعون في هتك الأعراض وترويج المخدرات ونشر الرذيلة بأنواعها، وما فضيحة الأقراص المدمجة إلا باكورة ما تتوعدنا به السياحة مستقبلا، مما سيزيد من انتشار داء السيدا الفتاك الذي يعتبر من أهم الآثار الخبيثة والخطيرة الناجمة عن السياحة في مختلف الدول التي تعتمد على هذا القطاع في نشاطها الاقتصادي، ولا أدل على ذلك من كون أكبر نسب ومعدلات المصابين بداء السيدا بالمغرب تسجل في المناطق السياحية كآكادير ومراكش.

وهذا ما يزيد من إلحاحية طرح الأسئلة الأخلاقية على مستوى مطبخ القرارات، وعدم تركها مجرد سجلات بين الأحزاب السياسية العلمانية والأخرى ذات التوجه الديني، وما يستتبع تركها دون حل من دمار محقق على النسيج الديني والاجتماعي والثقافي المغربي في المستقبل القريب.

العدد 12 - 05 جمادى الثانية 1427 الموافق لـ 01 يوليوز 2006

العدد 12 - 05 جمادى الثانية 1427 الموافق لـ 01 يوليوز 2006

شواطئنا وفلسفة التعـــري

بقلم: حمّاد القباج

﴿يَا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاء لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾الأعراف27.

قال العلامة الطاهر بن عاشور: "وفي الآية إشارة إلى أنّ الشّيطان يهتم بكشف سوأة ابن آدم؛ لأنّه يسرّه أن يراه في حالة سوء وفظاعة.

بعيدا عن كل المزايدات والاتهامات التي يكيلها من اتخذ إلهه هواه، وصار لا يحكم على الأشياء إلا من منطلق اللذة والتشهي، ويخاطب كل من طرح طرحا يمس فيه بشهواته وأهوائه، بخطابٍ خلَعَ لَبوس الأدب، ونزعَ حِليَةَ الخلق الكريم، خطابٍ يطفح بالحقد والكراهية، يوصف فيه المخاطَب بأوصافٍ ساقطة نابية، لا لشيء إلا لأنه قال: اللهم إن هذا منكر!

وبعيدا عن كل أسلوب ملتو، يُضيِّع جزءا كبيرا من أهداف النصح، ويُسقط جانبا مُهِمّا من مقاصد التوجيه إلى البر، والإرشاد إلى الخير ...

أقف في هذا المقال مع ظاهرة ارتياد الشواطئ للاستحمام والاستلقاء على الرمال، بالطريقة التي اعتادها كثير من الناس في بلدنا وفي غيره؛ فأقول:

إن أول ما نلاحظه ونحن نتأمل في هذه العادة، أنها منافية لما وجَّه القرآن إليه بني الإنسان، في قول الله تعالى:

(يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشاً وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ يَا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاء لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ)الأعراف 26-27.

قوله تعالى: "لباسا" أي: اللباس الضروري، وقوله سبحانه: "ريشا" أي: لباس الزينة الكمالي.

وقد نزلت هاتان الآيتان بسبب عادة شنيعة كانت بين العرب، شبيهة إلى حد كبير بهذه التي نتحدث عنها؛ وهي طوافهم بالبيت عراة، واعتقادهم الجازم بعدم قبح ذلك، بل استحسانهم له:

قال صاحب النكت والعيون (ج 1 / ص 475):

"قوله عز وجل: "يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً . ." نزلت هذه الآية في قوم من العرب كانوا يطوفون بالبيت عُراة ويرون أن ذلك أبلغ في الطاعة وأعظم في القربة!

وفي دخول الشبهة عليهم في ذلك وجهان:

أحدهما: أن الثياب قد دنستها المعاصي فخرجوا عنها!

والثاني: تفاؤلا بالتعري من الذنوب! فقال الله تعالى: "قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً" أي ما تلبسون من الثياب..".

ولئن كانت هذه هي فلسفة المشركين في تعريهم، فإن لعراة الشواطئ فلسفة لا تمت للمأخذ التعبدي بصلة، بل تنبثق من فكر لاديني، يلغي مفهوم العبادة، ويستبدله بمذهب إباحي، يدعو إلى الحرية المطلقة، التي لا تخضع لقيد، ولو جاء به الدين الحنيف، وأملاه الشرع القويم!!

وهكذا يُطَرِّدون هذا الأصل الفاسد لتسويغ هذه العادة؛ فكأنهم يقولون -ولسان الحال أبلغ من لسان المقال:- نحن أحرار في أبداننا نفعل بها ما شئنا! نستلقي بها عارية على الرمال، ونسبح بها مكشوفة في الشواطئ! وكل من انتقدنا فهو مخطئ، إذ تدَخَّل في حريتنا، وضيَّق دائرة تمتُّعِنا!!

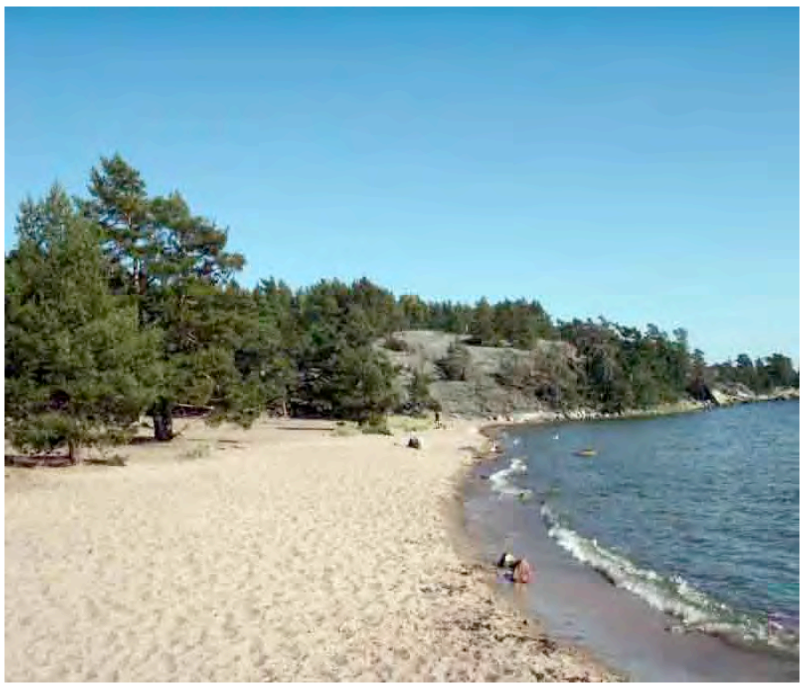
وبهذه الفلسفة يُصادمون الفطرة، ويخرمون المروءة، ويُواقعون المعصية، ويتجردون من نعمة عَظيمة امتن بها الرحمن على بني الإنسان، وفضَّله بها على الحيوان؛ وهي نعمة اللباس:

قال الطاهر بن عاشور في التحرير والتنوير ج 5 / ص 264، في معرض تفسيره للنص القرآني المتقدم:

"وهذا تنبيه إلى أن اللباس من أصل الفطرة الإنسانيّة، والفطرة أوّل أصول الإسْلام، وأنّه ممّا كرم الله به النّوع منذ ظهوره في الأرض، وفي هذا تعريض بالمشركين إذ جعلوا من قرباتهم نزع لباسهم بأن يَحُجّوا عُراة ...فخالفوا الفطرة".

وقال في (ج 5 / ص 266):

"والنّداء بعنوان بني آدم.. : لزيادة التّنويه بمنّة اللّباس، وفيه توكيد للتّعريض بحماقة الذين يحجّون عُراة. وقد نُهوا عن أن يفتنهم الشّيطان، وفُتون الشّيطان حصول آثار وسوسته، أي: لا تمكنوا الشّيطان من أن يفتنكم، وهذا من مبالغة النّهي، ومنه قول العرب: لاَ أعْرِفَنّك تفعل كذا: أي



لا تَفْعَلَن فأعْرِفَ فعلك.. فالمعنى لا تطيعوا الشّيطان في فتْنِهِ فيفتنكم".

قال:

وجملة: "ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون" استئنافٌ ثانٍ، على قراءة: "ولباسَ التقوى" بالنّصب، بأنِ استأنف بعدَ الامتنان بأصناف اللبّاس؛ استئنافين يؤذنان بعظيم النّعمة: الأوّل: بأنّ اللّباس خير للنّاس، والثّاني: بأن اللّباس آية من آيات الله تدلّ على علمه ولطفه، وتدلّ على وجوده، وفيها آية أخرى وهي الدّلالة على علم الله تعالى بأن ستكون أمّة يَغلب عليها الضّلال فيكونون في حجّهم عُراة، فلذلك أكّد الوصاية به".

قلت: وفيها آية أخرى وهي الدّلالة على علم الله تعالى بأن ستكون أمّةٍ يَغلب عليها الضّلال فيستلقون على رمال الشواطئ عُراة.

وكيف لا تكون هذه العادة ضلالا، وفيها مجاهرة بالعصيان، ومخالفة صريحة للنصوص التي نهت عن التبرج والعريّ، وأمرت بستر العورات، والالتزام بالحجاب الشرعيّ:

عن معاوية بن حيدة أن النبي ﷺ قال له: "احفظ عورتك إلا من زوجتك أو ما ملكت يمينك". قال: قلت: "فإذا كان القوم بعضهم في بعض؟" قال: "إن استطعت ألا يَرَيَنَّها أحد فلا يرينها" قلت: "يا رسول الله إذا كان أحدنا خاليا؟". قال: "فالله أحق أن يستحيى منه".رواه الترمذي.

وعورة الرجل من السرة إلى الركبة؛ لقول النبيﷺ: "فإن ما أسفل من سرته إلى ركبتيه من عورته".رواه أحمد.

<u>وأما عورة المرأة فيبينها الحديث التالي:</u>

عن قتادة أن رسول الله ﷺ قال: «إن الجارية إذا حاضت لم يصلح أن يُرى منها إلا وجهها ويداها إلى المفصل» رواه البيهقي

وفي التنزيل العزيز: "وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى"الأحزاب33.

وقال سبحانه: "وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ"النور31.

وقال تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاء الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ"الأحزاب59.

فكيف يفعل أو يُسوِّغ مؤمنٌ أمرا يصطدم مع هذه النصوص القرآنية والنبوية؟!

وقد أجمع علماء المسلمين على تحريم تبرج النساء، فضلا عن تعريهن، وأجمعوا على وجوب الحجاب، ومن أقوال علماء المذهب المالكي في هذا الصدد:

قول الشيخ الدردير رحمه الله: "عورة الحرة مع رجل أجنبي منها، أي ليس بمحرم لها، جميع البدن غير الوجه والكفين" .الشرح الصغير1/289.

وقال الشيخ الزرقاني رحمه الله:"عورة الحرة مع رجل أجنبي مسلم غير الوجه والكفين من جميع جسدها".شرح الزرقاني على مختصر خليل 1/176:

فتلك نصوص الوحي، وهذه أقوال العلماء، فهل من مدّكر؟!

..وبعدُ، فإن المفاسد السلوكية والصحية والاجتماعية لهذه العادة بيِّنة جلية، وإن اجتهد منظرو فلسفة التعري وسدنة الفكر الإباحي في إخفائها والتهوين من شأنها:

فإنها تنشر في المجتمع الرذيلة والفاحشة، ونحن نعلم ما يترتب على هذا الانتشار من الأدواء الصحية، والمشاكل الاجتماعية، وما يؤدي إليه من انتهاك الأعراض، واختلاط الأنساب، وموت الغيرة والشرف، وتفكك الأسر، وضياع الأولاد: "..وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى"طه127.

وفي هذا السياق أكد عدد كبير من الأطباء المختصين في الأمراض الجلدية، على خطورة أشعة الشمس على الجلد.

وأفادت إحدى المختصات أن أشعة الشمس تتألف من أشعة (UVA) التي تُسبّب سرطاناً للجلد على المدى الطويل، وأشعة (UVB) التي تعطي اللون الزهري للجلد.

وأشارت أبحاث إلى أن السيدة التي تتعرض لأشعة الشمس كثيرا تصبح جلدة وجهها مجعدة وتظهر أكبر من عمرها، ومن هنا أوصوا باستعمال مرهم خاص (total-ecran)، يقلل من نسبة الإصابة بتلك الأضرار!

وأكد هؤلاء المختصون على أن اصطحاب الأطفال إلى هذه الشواطئ يشكل خطرا عليهم، وأن الضرر عليهم أكبر؛ لأن بشرتهم حساسة ويبقى تخزين أشعة الشمس في الجلد عندهم وقتا طويلا...

وبعد هذا حق لنا أن نتساءل: هل يبقى لفلسفة التعري! مع هذه الحقائق وزن؟..!

العدد 12 - 05 جمادى الثانية 1427 الموافق لـ 01 يوليوز 2006

حسن الظن بالله سبحانه

عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر قَالَ ابْنُ عَبَّاس: "أَوَّلَ مَا اتَّخَذَ النِّسَاءُ الْمِنْطَقَ مِنْ قِبَلِ أُمِّ إِسْمَاعِيلَ؛ اتَّخَذَتْ مِنْطَقًا لَتُعَفِّيَ أَثَرَهَا عَلَى سَارَةَ.

ثُمَّ جَاءَ بِهَا إِبْرَاهِيمُ وَبِابْنِهَا إِسْمَاعِيلَ وَهِيَ تُرْضِعُهُ، حَتَّى وَضَعَهُمَا عِنْدَ الْبَيْتِ عِنْدَ دَوْحَةٍ فَوْقَ زَمْزَمَ فِي أَعْلَى الْمَسْجِدِ، وَلَيْسَ بِمَكَّةَ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ وَلَيْسَ بِهَا مَاءٌ، فَوَضَعَهُمَا هُنَالِكَ وَوَضَعَ عِنْدَهُمَا جِرَابًا فِيهِ تَمْرٌ وَسِقَاءً فِيهِ مَاءٌ، ثُمَّ قَفَّى إِبْرَاهِيمُ مُنْطَلِقًا فَتَبِعَتْهُ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ.

فَقَالَتْ: يَا إِبْرَاهِيمُ أَيْنَ تَذْهَبُ وَتَتْرُكُنَا بِهَذَا الْوَادِي الَّذِي لَيْسَ فِيهِ إِنْسٌ وَلَا شَيْءٌ؟!

فَقَالَتْ لَهُ ذَلِكَ مِرَارًا وَجَعَلَ لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا، فَقَالَتْ لَهُ: أَاللَّهُ الَّذِي أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ: نَعَمْ.

قَالَتْ: "إِذَنْ لَا يُضَيِّعُنَا".

ثُمَّ رَجَعَتْ فَانْطَلَقَ إِبْرَاهِيمُ حَتَّى إِذَا كَانَ عِنْدَ الثَّنِيَّةِ حَيْثُ لَا يَرَوْنَهُ اسْتَقْبَلَ بِوَجْهِهِ الْبَيْتَ ثُمَّ دَعَا بِهَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ وَرَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ رَبِّ {إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ} حَتَّى بَلَغَ: يَشْكُرُونَ. إبراهيم37.

صحيح البخاري ج/ 11ص 150.

علـم وعمـل

قال الله تعالى: (وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ) سورة التحريم، الآية:12.

قال الإمام السعدي رحمه الله: "وقوله: (وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا) أي: صانته وحفظته عن الفاحشة، لكمال ديانتها، وعفتها، ونزاهتها.

(فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا) بأن نفخ جبريل عليه السلام في جيب درعها فوصلت نفخته إلى مريم، فجاء منها عيسى ابن مريم، الرسول الكريم والسيد العظيم.

(وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ) وهذا وصف لها بالعلم والمعرفة؛ فإن التصديق بكلمات الله، يشمل كلماته الدينية والقدرية، والتصديق بكتبه، يقتضي معرفة ما به يحصل التصديق، ولا يكون ذلك إلا بالعلم والعمل.

ولهذا قال : (وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ) أي: المطيعين لله، المداومين على طاعته بخشية وخشوع، وهذا وصف لها بكمال العمل، فإنها رضي الله عنها صدّيقة.

والصديقية: هي كمال العلم والعمل".

(تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ج/1ص 874).

ويستمر إنكار العلمانيين لشريعة الحجاب! (عنزة ولو طارت!!)

لا تزال جريدة (الأحداث المغربية) مصرة على تبني القول بعدم فرضية الحجاب، والاجتهاد في الإقناع بذلك! وآخر ما أجْلبت به في هذا الصدد؛ كلمات هزيلة ركيكة للكاتبة العلمانية الحاقدة اليمنية (إلهام مانع)، نشرتها في (ص:17من ع2637)، ثم أتبعتها بمقال ل (العشماوي) المصري نشره قديما في مجلة المثلة النصرانية (روزا اليوسف)، واجترّته (الأحداث) في عددها الصادر بتاريخ 11: يونيو 2006.

وقد حاول الأخير الإقناع بأن الحجاب حكم وقتي، لا مؤبد! و حمل على هذا جميع النصوص!

وزعمت الأولى أن ارتداء الحجاب إنما ظهر في الأمة مع الثورة الإيرانية، والطفرة النفطية في السعودية!!!

وهكذا يستخف الكاتبان -ومن وراءهم (الأحداث)-، بعقول القراء، الذين يعلمون علما يقينيا بأن الحجاب مفروض بنصوص الوحي على سائر المسلمات، وعليه جرى عملهن إجماعا، بدءا بالصحابيات، وإلى أن حل المستخرب (المستعمر) ببلاد المسلمين، فكاد للحجاب كيدا خبيثا، وسعى لمحوه من المجتمعات الإسلامية سعيا حثيثا.

فالحجاب هو الأصل، وغيابه طارئ بسبب الغزو الظالم، والعمالة المكشوفة. وساعد على ذلك تفشي الجهل، وانتشار (الإسلام الوراثي).

وليت شعري، ما وزن كلام هؤلاء في هذا الباب، وهو مناقض لفهم وكلام السلف والفقهاء والعلماء -ومنهم المالكية- الذين أجمعوا على كون الحجاب فريضة شرعية، وهذا مجالهم وتخصصهم، وهم المرجع في فهم نصوص التشريع.

وعهدي بالأحداث أنها غيورة على المذهب المالكي، وتعتبره ضامنا لانضباط الحقل الديني، وتُقيم الدنيا على من خالفه في بعض المسائل كسدل اليدين في الصلاة مثلا، فما بالها خالفته في أمر الحجاب! واستبدلته بشذوذ "مصري"، ونكارة "يمنية"؟!

وما بال الأحداث تركت كتب المذهب المالكي ومراجعه، واستبدلتها بمصادر لا تمت للتخصص الشرعي بأية صلة، بل استبدلتها بمصادر عُرفت بمعاداتها للدين، واجتهاد أصحابها في إثارة الشبه حول أحكامه، كمجلة اللبنانية روزا اليوسف؟!

وهذه الأخيرة ممثلة وراقصة، برعت في هذا المجال وعرفت به، ثم هي مسيحية حاقدة على الإسلام، وقد نفثت كثيرا من سمومها في مجلتها التي كانت تصدر في مصر، ومع هذا كله؛ لا يستحيي كتاب الأحداث من اتخاذها مرجعا، في معرفة حكم الله تعالى في الحجاب!!

وهنا نتساءل وندعوا للتساؤل: ما المرجع في معرفة هذا الحكم؟

أنصوص القرآن والسنة، وبيان العلماء والفقهاء لها؟؟

أم مقالات المجلات المسيحية، وكتابات العلمانيين فيها؟!!

أما العقلاء المتجردون، فجوابهم ظاهر، وأما كتاب الأحداث، فسيبحثون في قاموسهم -المحيط بألفاظ اللمز والطعن- عن مصطلحات يرمون بها من يقف في وجه حملتهم الشرسة على الحجاب، وسيفتشون في معاجمهم عن تهم يلصقونها بأنصار شرع الله.

ولعل التفتيش لن يطول؛ فتهمة الوقت (الإرهاب) لا تزال صالحة وذات مفعول يرجى منه تحقيق المقصود، وفي حالة تقادمها، فلن يعدم الشيطان الذي يوسوس لهم، تهمة جديدة تتفتق عنها عبقريته! يؤزهم إليها أزاً.

وريثما يفعل، ففي الأرشيف ما يصلح لسدّ الثغرة : (أصحاب الفكر الماضوي)، دعاة الرجعية والتزمت، (أعداء الحداثة والتقدم.. !)

أعود فأقول: ألم تنكروا بالأمس القريب (العدد 2676)، على الدكتور الحسن بن الصدّيق كونه خالف المذهب المالكي في مسألة القبض والسدل في الصلاة؟!

فما بالكم تخالفون المذهب في مسألة حكم الحجاب؟!!

إنها سياسة الحرباء، وعمل المطففين الذين يكيلون بمكيالين؛ {أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ * لِيَوْمٍ عَظِيمٍ * يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ} المطففين.

فهلا وُضع حد لهذه الفوضى العلمية، والتسيب الفكري، الذي خوّل لهؤلاء الصحفيين أن يتكلموا في علوم الشريعة وأحكامها! ويدْعوا إلى تحليل الحرام، وتحريم الحلال. وربنا سبحانه يقول : {وَلاَ تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلاَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ}النحل116.

وهلا وُضع حد لهذا الكيد العلماني، الهادف إلى رفع القدسية عن نصوص الوحي، والتشكيك في حجيتها، والوصول إلى ذلك عبر منهجية:القراءة العصرية والعقلانية للنصوص; الوجه الجديد للمذهب الباطني، والتطبيق المعاصر للمنهج السوفسطائي.

وأذكّر القراء الكرام بأنني كتبت في الأعداد5: و6 و7 و8 و10 من (جريدة السبيل) خمس مقالات في بيان فرضية الحجاب بعنوان: "الحجاب تشريع رباني"، كما كتبت مقالا مطولا في نقض الشبه التي اجترتها (الأحداث) للتشويش على هذا الحكم الشرعي، ونُشر في العدد الثالث من الجريدة المذكورة. وتم تعزيز ذلك كله بإصدار الطبعة الثانية من كتاب الحجاب.

وفي هذا الصدد أُهيب بكل من: (وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية)، و(رابطة علماء المغرب "الرابطة المحمدية")، و(المجالس العلمية) أن يقوموا بواجبهم في البيان، ووضع الحد لهذا التطاول السافر على الأحكام الشرعية، والآداب المرعية، وأذكرهم بقول العلي القدير:"وَإِذَ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ"آل عمران187. وقوله سبحانه:"إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلعَنُهُمُ اللّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ * إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ"البقرة 159-160.

ألا هل بلغت؟! اللهم فاشهد...

تنبيه هام: إن هذه الجريدة تتضمن آيات من القرآن الكريم فالواجب عدم امتهانها

العدد 12 - 05 جمادى الثانية 1427 الموافق لـ 01 يوليوز 2006

الوجه الآخر للتطـــرف

بقلم: نورالدين درواش

التطرف في اللسان العربي مشتق من "الطرَف" وهو "الناحية"، أو "منتهى كل شيء".

جاء في المعجم الوسيط: "تطرف أتى الطرف ويقال تطرفت الشمس: دنت للغروب.. وتطرف في كذا جاوز حد الاعتدال و لم يتوسط ".

فالتطرف بصفة عامة هو كل ابتعاد عن المركز تجاه الطرف، بغض النظر عن اتجاه تلك الحركة، و بعبارة أخرى كل ميل عن الوسطية والاعتدال ذات اليمين أو ذات الشمال فهو تطرف، قال بعض السلف: "ما أمر الله بأمر إلا وللشيطان فيه نزعتان: إما إلى تفريط وتقصير، وإما إلى مجاوزة وغلو، ولا يبالي بأيهما ظفر".

قال ابن القيم: "و قد اقتطع أكثر الناس إلا أقل القليل في هذين الواديين: وادي التقصير ووادي المجاوزة والتعدي، والقليل جدا الثابت على الصراط الذي كان عليه سول الله صلى الله عليه و سلم وأصحابه"(إغاثة اللهفان).

وما أجمل قول الشاعر:

ولا تغل في شيء من الأمر واقتصد
كلا طرفي قصْدِ الأمور ذميـــــــم

وإذا كان التطرف بالمعنى الشائع عند عموم الناس والمتمثل في الغلو والتعدي، والذي نجم عنه تكفير المسلمين وإزهاق أرواح الآمنين، وتفجير السيارات وإسقاط الطائرات واستهداف السفارات واختطاف البعثات.. قد قوبل بما يستحقه من البيان والتحذير والتأليف والمحاضرة والتنفير، خاصة بعد أحداث الحادي عشر من شتنبر دوليا، وأحداث السادس عشر من ماي الأليمة على الصعيد الداخليّ، حيث أفرز ذلك إجماعا وطنيا ضد كل دعاة الغلو والتكفير ومظاهر الإرهاب، فإن هناك لونا آخر من التطرف أخذ ينمو على ظهر التطرف الأول ويعيش على آثاره المشئومة، فهما وجهان لعملة واحدة، بل إن هذا الأخير سبب أساس في ظهور تطرف الغلو وقد نقول إن "كلا الطائفتين -الغلاة في الدين والعلمانيين- تشتركان في إثارة حفيظة الطائفة الأخرى أو قد يكون هناك طرف ثالث يدفع بكلا الفرقتين للمواجهة والصدام، من أجل حسم أمر التدين وسد أبوابه والتضييق على المسلمين في أداء شعائرهم، أو إظهار الفساد عن طريق الغلبة غير المتوازنة بين القوة المعنوية والمادية التي يمتلكها الطرفان".

وفيما يلي بعض صور الوجه الثاني للتطرف العلماني لعلّي أسهم في تحذير الأمة من شره و تبصيرها بضرره وإيقافها على خطره فإلى شيء من البيان.

تهجم العلمانيين على شعائر الإسلام

فـمن مظاهر هذا التطرف السعي في محاربة كل فضيلة واستبدالها بكل رذيلة، وهكذا أخذوا ينشرون في الأمة ثقافة التعري والانحلال والمجون والإباحية حتى أضحى الحجاب عندهم تخلفا ورجعية والسفور تقدما ومدنيَّة، ولتتعرى بنات المسلمين ولتختلط بالرجال ولتُنتهك أعراضهن وليُمت الطُهر والعفاف ولتُعدم الغيرة والشرف مادام كل هذا ينشر خلف ستار "الدعوات الآثمة، والشعارات المضللة باسم حقوق المرأة، وحريتها، ومساواتها بالرجل ...وهكذا، من دعوات في قوائم يطول شرحها، تناولوها بعقول صغيرة، وأفكار مريضة، يترجلون بالمناداة إليها في بلاد الإسلام، وفي المجتمعات المستقيمة لإسقاط الحجاب وخلعه، ونشر التبرج والسفور والعري والخلاعة والاختلاط، حتى يقول لسان حال المرأة المتبرجة: "هَيْتَ لكم أيها الإباحيون" (حراسة الفضيلة للشيخ بكر) .

إن ما تُمطِر به الفضائيات المشاهد العربي المسلم من مظاهر العري والسفور باسم "الفيديو كليب" تارة وباسم "ستار أكاديمي" أخرى أو غير ذلك من الأسماء.. وإن ما تطالعنا به الصحف العلمانية في كل يوم من المشاهد الخليعة، مصورة وموصوفة لَمظهر بشع لتطرف جديد ما زال العديد يفضل التغاضي والسكوت عنه والتساهل معه، مع أن رائحته أضحت تزكم أنوف العقلاء فضلا عن أهل الاستقامة والطهر والعفاف "إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُون" النور.

والغريب أن القوم مع سوء صنيعهم هذا ما زالواْ يتباكون على حقوق المرأة لاهثين خلف أسيادهم من علمانيي الغرب، مع أن كل ذي لُبٍّ يعلم بداهة أن حقيقة تكريم المرأة عند هؤلاء ليس إلا تحقيرا وتضييعا لها في متاهات الحرية وإثبات الذات، وإغراقها في صراع مفتعل ضد أخيها الرجلّ، ليتعيش أصحاب النفوس المريضة والنيات الخبيثة على التطبيل لهذا الصراع وإذكاء ناره وإشعال أواره .

ومن مظاهر التطرف اللاديني تلكم الظاهرة التي تعتبر وصمة عار في جبين إعلام المسلمين، والمتمثلة في دعوة الناس لاقتراف الآثام وارتكاب المحرمات، كإشهار الميسر والقمار، والدعاية للكهانة والدعارة، والترغيب في الربا وغير ذلك من الموبقات مما أجمع المسلمون على حرمته و كل ذلك باسم التعارف والصداقة والمرح والربح والفوز واللقاءات "الحميمية"، ناهيك أيها القارئ الكريم عن التكسب من وراء الاستهزاء بالشرع وأحكامه، والدين وشعائره، علاوة عن الرسوم الكاريكاتورية المستهزئة بالدين الإسلامي والمتدينين به، كل ذلك على مرأى ومسمع من الجميع والله عز و جل يقول: "لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ، كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ" المائدة.

مظاهر التطرف العلماني

يزعم القوم الغيرة على الأمة ومصالحها العليا والسعي فيما فيه خيرها وتقدمها، وأنهم من سيقي الأمة بصنيعهم من الإرهاب والحقد والكراهية، وهم لعمر الله منبع هذه الآفات ومصدرها وما أبلغ قول الله في وصف أسلافهم: "وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ، أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ" فما أشبه اليوم بالبارحة وما أجمل قول الشاعر:

فَـوا عَجباً كم يدعي الفضل ناقص
و وَا أسـفاً كم يُظهر النقص فاضلُ
ولما رأيت الجهل في النـاس فاشياً
تجاهلـت حتى ظُن أني جـــــاهلُ
فيــــا مَـــوتُ زُرْ إن الحياة ذَميمَة
ويـــا نــفس جِدّي إن دَهْرَكِ هازلُ

إن الهجمة الشرسة على مصادر المسلمين وثوابتهم والرامية إلى تشكيكهم في معتقداتهم من خلال وسائل الإعلام -مسموعة ومرئية ومكتوبة-، لا تعدو أن تكون صورة أخرى من صور هذا التطرف الجديد الذي تدعمه أياد خفية خارجية وجدت من أبناء المسلمين من يحمل هم الطعن في الإسلام والسعي للإجهاز عليه، ولكن الله حافظ دينه ومبق شرعه ولو كره اللائكيون والحداثيون.

فماذا بقي لهم بعد؟؟

فأما الرسول عليه الصلاة والسلام فلعنوه، وأما أبو هريرة فكذبوه، وأما البخاري فسفهوه وعن الحق حجبوه، وأخيرا قام "فارسهم المغوار" والشجاع الذي لا يشق له غبار ليختصر الطريق ويتوج المسيرة المشؤومة بالطعن في آي القران في رائعة النهار .

لعله طرق سمعك أيها القارئ الكريم بعض ما سوده القوم في هذا المجال و لنذكر على سبيل المثال:

- مقال "البخاري كان بينه وبين الحق حجاب" الأحداث المغربية 23 مارس 2002 م

- مقال "فجور فقيه ومالكيون بغير مالك" الأحداث المغربية 7 دجنبر 2001م في لمز صارخ للإمام القرطبي رحمه الله.

- قالت إحدى العلمانيات:

"ملعون من قال ناقصة عقل ودين أنت
ملعون من قال من ضلع أعوج خلقت".

- مقال "عندما تكذب أمة على نفسها" الأحداث المغربية في ماي الماضي.

إلى غير ذلك من حلقات الخزي و العار التي يناصب فيها اللادينيون السفلة العداء للإسلام وأصوله.

لقد اختار بعضهم أن يمتطي بعض الشعارات ظنا منه أن تسوِّغ قبيح أفعالهم وذلك كقولهم:

-"ليس في الإسلام كهنوت" ! وهي كلمة حق أريد بها باطل، والغرض منها هو تجريء الناس على القول على الله بغير علم، والجرأة على الفتوى من غير أهلية، ومن تَمَّ يتم عزل العلماء، وتهميش دورهم في حياة المسلمين، ليخلو الجو ويصفو لبني علمان لينفثوا في الأمة سموم التغريب و أمراض التبعية والتقليد الأعمى، وينحصر دور الدين في المساجد.

-"كلنا مسلمون"! وإن مارسنا الكفر ودعونا إليه، ومن أنكر أو استنكر فهو "رجعي، ظلامي، ماضوي" إن لم يوصف بالطابع العالمي المعروف "إرهابي".

أما سخافاتهم فلا تنقضي وأهمها أن باب الاجتهاد في الدين مفتوح أمام كل الناس، ولو تكلم شخص من عامة الناس في الطب أو الهندسة أو الكيمياء أو غيرها من العلوم والمعارف لصرخ به القوم، بدعوى أنه لم يحترم التخصص، فيا قوم كيف تحكمون؟ وبأي عقل للأمور تزنون؟ وما لكم على الحديث في علم الشرع تتهافتون؟ وللفتاوى بغير فهم تتصدرون؟ وعلى الله بغير علم تقولون؟

ولله در القائل:

متى يبلغ البنيان يوما تمامه
إذا كنت تبني وغيرك يهدم
فلو كان سهما واحدا لاتقيته
و لكنه سهـم وثان وثالــث

إن القضاء على التطرف لن يؤتي أكله إلا إذا حُورِبت كل مظاهره وكافة صوره إفراطا وتفريطا، غلو وتقصيرا، مع الأخذ على أيدي العابثين بمقدساتنا وفسح المجال الإعلامي للعلماء للرد عليهم و فضحهم، سعيا في تحقيق قوله عليه الصلاة والسلام:"يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين" .(البيهقي في المدخل و الخطيب في شرف أصحاب الحديث)

العدد 12 - 05 جمادى الثانية 1427 الموافق لـ 01 يوليوز 2006

دعـــوها فإنهـا منتنـــة

بقلم: إبراهيم أنفلوس

من المقرر عند ذوي الثقافة والمعرفة أن التاريخ يعود، وأن حوادث الدهور ترجع وتتكرر، والعقول السديدة السليمة تستفيد مما يسطر في صفحات التاريخ من أحداث، وتعتبر بما تنقشه الوقائع على ألواح الزمان، ولابد للإنسان -حتى لا يكون غبيا ومغفلا- أن يتخذ ما يمر من الوقائع عليه أو على غيره عبرة وتجربة تفيده في مواقف مماثلة في حياته، ويسلك الخطة التي ينبغي سلوكها لو عادت الكرّة، والسعيد من وعظ بغيره، والشقي من وعظ بنفسه، وأحسن من ذلك قول سيد البشر عليه الصلاة والسلام: "لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين".

وليس ببعيد ما ابتلي به المغاربة منذ بداية عهد الحماية، ذلكم الابتلاء هو ما نصبه المستعمر الفرنسي من شراك التفرقة والتشتيت بين أفراد المجتمع المغربي، وأسموه بالظهير البربري رجاء أن يخترق صف المجاهدين والمناضلين، إلا أنه باء بالخسران والفشل، حيث فطن لخداعه أجدادنا وعلموا أنما هي سياسة لتفريق جموعهم وإذهاب ريحهم؛ حيث غرروا البرابرة أنهم أهل البلد الأصليون، ووسوسوا للعرب أنهم هم الذين أنقذوا البربر من قيد الأمية وأكبال الجهالة، قاصدين بذلك تحريش بعض القوم على بعض، ليتأتى لهم أخذ الغنائم باردة..

وقد مرت على ذلك نحو من سبعين سنة، وهاهي الكرة تعاد، لكن هذه المرة دون سلاح ولا احتلال، وبدون قوة ولا ظهير، وإنما بواسطة أيد غامضة أثارت الموضوع، وصاحت به أصوات أناس من أبناء جلدتنا، ورفعوا أعلام التفرق وزعزعة الوحدة الوطنية، من تهييج همم شريحة البربر على التعصب، تحت غطاء نيل الحقوق المهضومة، وتحت شعار رد الاعتبار. وهذا الذي يحدث ويعود، إنما هي تمثيلية ترجع لتعرض نفسها بأسلوب جديد فتان، وفي فستان آخر مغري، وفي قالب معاصر متقف، لتفتن وتغر من خفت ديانته، وقلّت في العلم بضاعته، وخوت من دراسة تاريخه جعبته.. فزعم هذا المخطط أنه دفاع وذب عن هذه الشريحة الأمازيغية، وما أحراه أن يكون حمية جاهلية، وسورا عرقيا أراد أن يفصل بين شرائح مجتمعنا، وأن يقسم مغربنا.

التعصب الطائفي سبب الضعف والخذلان

لئن هُيّء لهذه الشجرة الجو في تربية عروشها، وتعميق جذورها، واستجاب لها المجتمع المغربي، وأعطيت متطلباتها، فإنما تظفر بذلك على حساب تبديد مجتمع طالما سالت دماء أجدادنا من أجل حريته واستقلاله، وظلوا يذبون عن وحدته وائتلافه، ويحرصون على كلاءة بيضته، ويستأصلون الطفيليات التي تحاول تفريقه منذ أن شمّ رائحة الاستقلال، ورحلت عنه عواصف الاحتلال.

لذلك فليعلم أنه من سعى في بثّ روح العصبية في أمتنا، وفي إحياء هذه الجاهلية بينهم، فإنما يحاول زعزعة وحدتهم الوطنية ومن ثم الدينية، ويحاول تفريق المسلمين وإضعاف قوتهم، وإذهاب ريحهم، ولا شك أن صاحب هذا الفعل متوعد من الله بالعذاب والنكال في الآخرة، قال تعالى مبرئا نبيه من هذا النوع البشري: "إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء وقال:ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا"، فالقوة كل القوة في الاجتماع والاتحاد، وإلى هذا المعنى الفريد أشار العزيز الحميد سبحانه بقوله:"ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم".

وإنه لمن المصيبة العظيمة، والداهية الجسيمة أن يخلّى دعاة التعصب البربري بينهم وبين ما يشتهون، وملف الصحراء لم يُصَفَّ بعد، ولم تنته مشكلته، فهؤلاء اليوم يطالبون بالانقسام، ويجرون وراء قطع الصلة عن البلد الأصلي، فإنه يوشك أن يقوم من يتزعم هذه الدعوة العصبية البربرية، فيعق بلده، ويطالب بدوره بالانفصال والاستقلال ويدعو إلى ذلك، ثم بعد غد تظهر فرقة أخرى تطالب بالمطالب نفسها، ثم يصير مغربنا حين ذاك إلى التفكك والاندثار. ألا ينبغي أن نتخذ العبر مما يجري ويقع الآن؟ ألا يجذر بنا أن نتلقن الدروس ونعمل بمقتضاها؟ فحري بنا أن نتعلم ونستفيد، فإن دروس الزمان، وتجارب الحياة تكاد لا تخطئ.

إن الدين الذي ندين الله به -عربا وأمازيغ- هو الدين الإسلامي، دين الحق الذي أنزله الله ولم يرتض بعده غيره، فالمسلمون ربهم واحد، ودينهم واحد، ونبيهم واحد، وكتابهم واحد، وقبلتهم واحدة، "وأن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون"، وما دمنا على هذا المبدأ معشر المغاربة متأصلين، وبه مستمسكين؛ فلن تؤثر عواصف الفتن في جدار وحدتنا.

لذلك فأدعو كل المغاربة أحمرهم وأسودهم، وأبيضهم وأصفرهم، بربرهم وعربهم أن يكونوا صفا واحدا، صامدين أمام ما يثار من رياح هذه الفتنة، ولا ينبغي أن تغرّ إخواننا الأمازيغيين هذه الدعوة الجاهلية بأن توفر لهم كذا وكذا من الحقوق، فحقوقهم حقوق كل مغربي مسلم، ولا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى والإيمان، والمسلمون كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: ذمتهم واحدة، يسعى بها أدناهم، فمن أخفر مسلما فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، "وعنه صلى الله عليه وسلم قال: "المؤمنون تتكافأ دماؤهم، وهم يد على من سواهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، ألا لا يقتل مسلم بكافر، ولا ذو عهد في عهده" رواه أحمد وأبو داود وغيرهما من أهل السنن. فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن المسلمين تتكافأ دماؤهم، أي: تتساوى وتتعادل، فلا يفضل عربي على عجمي، ولا قرشي أو هاشمي على غيره من المسلمين، ولا حر أصلي على مولى عتيق، ولا عالم أو أمير على أمّي أو مأمور. وهذا متفق عليه بين المسلمين، بخلاف ما كان عليه أهل الجاهلية وحكام اليهود"مجموع الفتاوى(376-28).

التعصب الطائفي وحرب الأعداء

مما لاشك فيه أن وراء هذه الزوبعة جهات من خارج الوطن إتخذت لها أداة حفنة من العلمانيين، لا يعبؤون بدين الله ولا تهمهم مخالفته، بل يحاربونه بالليل والنهار، ويستهزؤون بأهله، ويسخرون من حملته (يريدون أن يطفؤوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون) فهؤلاء أرادوا أن يقطعوا إلى غنيمة مصالحهم عبر قنطرة هي أناس سذج لا يعرفون ما يراد بهم.

صوِّرت لهم هذه النزعة المنتنة نضالا من أجل حقوقهم وهي في حقيقتها سُمّ في وصفة دواء دسها الحاسدون والحاقدون إلى أبناء بلدنا مستغلين صرعى الأمية الدينية والجهل بالتاريخ، ومن أنهكته المشاكل والفقر، وهم يتوخون من خلاله أن يفرقوا وحدة بلادنا ويخلخلوا أمنه، فاستعملوا من لا يفقه من الناس، واستغلوا من يدعي الفهم والثقافة ممن همه قضاء أربه ومصالحه الشخصية.

إن الكفار لا يفتؤون ينشبون بين الدول الإسلامية بنشاب العداء، فمذ خرج الاحتلال الفرنسي ووقود الفتنة بين الجزائر والمغرب في أيدي أعدائنا، ولو فتشت الآن، وتأملت بعين بصيرتك في الفتن التي وقعت بين المسلمين، والأحداث التي لم تزل تقع إلى الآن، إلا وجدت أن الكفار هم الذين ينفثون فيها ويوقدون نارها عبر أنابيب المنافقين، فالرأس في بلاد الكفر، وذيله في بلاد الإسلام يحركه بالفتنة كيف يشاء. وليس بخاف عليك ما يقع في العراق، فإن الأمريكيين يستغلون الخلاف بين الشيعة الروافض، وبين أهل السنة، فينتهز الروافض الفرصة لتطبيق مخطط حقدهم الدفين، فيقتلون أهل السنة ويعذبونهم، ويفعلون بهم ما لا يخطر بالبال، ولا يحيط بعلمه إلا الله، وإخوانهم من الأمريكيين يمدونهم بالسلاح ولا يقصرون. فكل خلاف بين المسلمين إلا وهو ورقة رابحة في أيدي الكفرة، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

المسلم العربي أخو المسلم الأمازيغي

فالمسلم كيفما كان عرقه أو لونه بإسلامه يصبح أخا للمسلم، لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام؛ دمه وماله وعرضه، هكذا يؤسس قائد الأمة صلى الله عليه وسلم جيل هذه الأمة الأول، ويحيي فيه روح الإخاء، فهل بقي بعد هذه الحقوق شيء؟ ثم نجده صلى الله عليه وسلم في موطن آخر من مواطن تعليمه وتربيته، وموقف من مواقف إرشاده يقول لاثنين من الصحابة أحدهما أنصاري والآخر مهاجري وقد وقع بينهما ما وقع فقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين، يستغيثان بأقوامهما، فانتهض للتقويم من جاء ليتمم محاسن الأخلاق فقال صلى الله عليه وسلم: «أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم؟! دعوها فإنها منتنة» فأين هذه التعاليم السامية يا إخواننا؟ وأين غابت عنكم؟ أم هل عاد الاحتلال؟!

إن نتيجة غياب هذه التعاليم النبوية، وهذه الإرشادات الربانية؛ هو ما نراه اليوم من رفع رايات العصبية كيفما كان نوعها، وإعلاء أعلام التفرقة بين الأمة. ولْيَقِس المسلم اللبيب، والأخ الحبيب، على هذا القاعدة النبوية، ولْيحكم على كل شعار غير شعار الإسلام، من شعارات الأحزاب واللغات والعرقيات والجنسيات وغيرها بالدعوى النتنة دعوى الجاهلية.

وعلى جميع المسلمين -عربا وعجما- أن يرجعوا إلى اللغة العربية وتعلمها، وحفظها عن كل لحن ودخيل، فهي لغة القرآن، ولغة السنة، وليست العربية حكراً على أحد حتى يستنكف أحد عن الكلام بها، وقد أنزل الله بها كتابه (لسانا عربيا غير ذي عوج) ولا يعني هذا أن نحتقر لسان طائفة منا، أو نحاربه.

وأنا إذ أقرر هذا؛ أتبرأ كل التبرؤ أن أقصد تحريك غلٍّ أو حقد، أو أحرش بعض القوم على بعض، وأعوذ بالله أن أتكلم من منبر شعوبي، أو من زاوية قومية، بل القصد -والله يشهد- دعوة الكل إلى التلاحم والترابط على اختلاف اللغات والألسن، وعلى تنوع العرق واللون إلى تجاوز هذه الامتيازات، وتحطيم هذه الحدودات؛ فإن ديننا يسعنا أجمعين.

فاللهم احفظ بلدنا، وارزق أهله من الثمرات، ووفقهم لما فيه رضاك. وقهم كل عدو حاسد، واكفهم كل منافق دخيل حاقد، اللهم أصلح دنياهم وآخرتهم.

آمين آمين لا أرضى بواحدة حتى أضيف لها آلاف آمينا.

من مصابيح السبيل

فضل علم السلف على علم الخلف

قال ابن رجب رحمه الله: "من علامات العلم النافع أن صاحبه لا يدعي العلم، ولا يفخر به على أحد، ولا ينسب غيره إلى الجهل إلا من خالف السنة وأهلها، فإنه يتكلم فيه غضباً للّه لا غضباً لنفسه ولا قصداً لرفعتها على أحد.

وأما من علمه غير نافع فليس له شغل سوى التكبر بعلمه على الناس، وإظهار فضل علمه عليهم ونسبتهم إلى الجهل وتَنَقُّصهم ليرتفع بذلك عليهم وهذا من أقبح الخصال وأرداها.

وربما نسب من كان قبله من العلماء إلى الجهل والغفلة والسهو، فيوجب له حب نفسه وحب ظهورها إحسان ظنه بها وإساءة ظنه بمن سلف.

وأهل العلم النافع على ضد هذا يسيئون الظن بأنفسهم ويحسنون الظن بمن سلف من العلماء، ويقرون بقلوبهم وأنفسهم بفضل من سلف عليهم وبعجزهم عن بلوغ مراتبهم والوصول إليها أو مقاربتها ...

ومن علمه غير نافع إذا رأى لنفسه فضلا على من تقدمه في المقال وتشقق الكلام، ظن لنفسه عليهم فضلا في العلوم أو الدرجة عند اللّه لفضل خص به عمن سبق، فاحتقر من تقدمه واجترأ عليه بقلة العلم، ولا يعلم المسكين أن قلة كلام من سلف إنما كان ورعا وخشية للّه، ولو أراد الكلام وإطالته لما عجز عن ذلك...

وقال بعض السلف إن كان الرجل ليجلس إلى القوم فيرون أن به عيا وما به من عي إنه لفقيه مسلم: فمن عرف قدر السلف عرف أن سكوتهم عما سكتوا عنه من ضروب الكلام وكثرة الجدال والخصام والزيادة في البيان علي مقدار الحاجة، لم يكن عياً ولا جهلا ولا قصوراً وإنما كان ورعا وخشية للّه واشتغالا عما لا ينفع بما ينفع. وسواء في ذلك كلامهم في أصول الدين وفروعه، وفي تفسير القرآن والحديث، وفي الزهد والرقائق. والحكم والمواعظ وغير ذلك مما تكلموا فيه، فمن سلك سبيلهم فقد اهتدى، ومن سلك غير سبيلهم ودخل في كثرة السؤال والبحث والجدال والقيل والقال، فإن اعترف لهم بالفضل، وعلى نفسه بالنقص كان حاله قريباً وقد قال إياس بن معاوية: ما من أحد لا يعرف عيب نفسه إلا وهو أحمق، قيل له: فما عيبك؟ قال: كثرة الكلام.

وإن ادعى لنفسه الفضل ولمن سبقه النقص والجهل فقد ضل ضلالا مبيناً وخسر خسراناً عظيما.

وفي الجملة ففي هذه الأزمان الفاسدة إما أن يرضى الإنسان لنفسه أن يكون عالماً عند اللّه ولا يرضى إلا بأن يكون عند أهل الزمان عالماً. فإن رضي بالأول فليكتف بعلم اللّه فيه. ومن كان بينه وبين اللّه معرفة اكتفى بمعرفة اللّه إياه، ومن لم يرض إلا بأن يكون عالماً عند الناس، دخل في قوله صلى الله عليه وسلم (من طلب العلم ليباهي به العلماء أو يماري به السفهاء أو يصرف به وجوه الناس إليه فليتبوأ مقعده من النار)". "فضل علم السلف على الخلف"

محبة الصحابة

(الحلقة الأخيرة)

عبد الله الحمداوي

مَرّ معنا أنه من علامات التعظيم والمحبة لصحابة النبي صلى الله عليه وسلم: سلامة القلوب والألسن لهم، ومع باقي العلامات الأخرى:

الاستغفار لهم:

اقتتال المسلمين لا يذهب بأصل الإيمان، ولا ينزع عنهم العدالة، وأما في حق الصحابة فإن قوة إيمانهم وصحة مقاصدهم تنفي عنهم كل تهمة، لذلك يتعين عدم النظر إليهم بعين الهوى لأنها عمياء مُردية، بل إن الله تعالى في كتابه أمر بالاستغفار لهم جميعا وقد علم ما سيحصل بينهم، قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: "لا تسبوا أصحاب محمد فإن الله قد أمر بالاستغفار لهم، وقد علم أنهم سيقتتلون" الصارم المسلول 574 ورواه أحمد في الفضائل وصحح إسناده ابن تيمية في منهاج السنة 22/2.

وقال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: "الناس على ثلاث منازل، فمضت منزلتان وبقيت واحدة فأحسن ما أنتم كائنون عليه أن تكونوا بهذه المنزلة التي بقيت. قال: ثم قرأ(للفقراء المهاجرين) إلى قوله: (رضوانا) فهؤلاء المهاجرون. وهذه منزلة قد مضت (والذين تبوؤوا الدار والإيمان من قبلهم) إلى قوله: (ولو كان بهم خصاصة) قال: هؤلاء الأنصار ثم قرا: (وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلّاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ) قد مضت هاتان وبقيت هذه المنزلة، فأحسن ما أنتم كائنون عليه أن تكونوا بهذه المنزلة التي بقيت. يقول: أن تستغفروا لهم"رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي، وانظر الصارم المسلول 574.

وقالت عائشة رضي الله عنها: "أمروا أن يستغفروا لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبوهم" رواه مسلم.

قال أبو نعيم رحمه الله: "فمن أسوأ حالا ممن خالف الله ورسوله وآب بالعصيان لهما والمخالفة عليهما. ألا ترى أن الله تعالى أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بأن يعفو عن أصحابه ويستغفر لهم ويخفض لهم الجناح قال تعالى: "وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ" وقال: (وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ) الإمامة 375-376.

الإمساك عما شجر بينهم:

قال صلى الله عليه وسلم: "إذا ذكر أصحابي فأمسكوا..."السلسلة الصحيحة.

فالواجب على المسلم فيما شجر بين الصحابة رضوان الله عليهم الإمساك عن ذلك، والكف عن ذكره واعتقاد أنما شجر بينهم غير قادح في عدالتهم فالله قد عدلهم وهو أعلم بما يقع منهم.

قال ابن بطة رحمه الله: "نكف عما شجر بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد شهدوا المشاهد معه وسبقوا الناس بالفضل فقد غفر الله لهم وأمرك بالاستغفار لهم والتقرب إليه بمحبتهم وفرض ذلك على لسان نبيه وهو يعلم ما سيكون منهم"الشرح والإبانة 268-289.

ومن ثم فالإمساك المشار إليه في الحديث إمساك مخصوص يقصد به عدم الخوض فيما وقع بينهم من الحروب والخلافات على سبيل التوسع وتتبع التفصيلات ونشر ذلك بين العامة، أو التعرض لهم بالتنقص لفئة والانتصار لأخرى.

التماس أحسن المخارج فيما ثبت عنهم وظاهره القدح:

إذا دعت الحاجة إلى ذكر ما شجر بين الصحابة رضي الله عنهم فلا بد من التحقق والتثبت فيما ينقل من ذلك فإذا صحت الرواية في ميزان الصناعة الحديثية وكان ظاهر القدح فيلتمس لهم أحسن المخارج والمعاذير، لأننا تيقنا فضلهم وعدالتهم، مع التنبيه أننا لا نعتقد في أفرادهم العصمة إلا في مجموعهم.

قال الذهبي رحمه الله: "فالقوم لهم سوابق -في الخير- وأعمال مكفرة -للذنوب- لما وقع بينهم، وجهاد محاء، وعبادة ممحصة ولسنا ممن يغلوا في أحد منهم ولا ندعي فيهم العصمة" السير 93/10.

وقال ابن أبي زيد القيرواني رحمه الله في معرض الحديث عن معتقد أهل السنة في الصحابة: "والإمساك عما شجر بينهم وأنهم أحق الناس أن يلتمس لهم أحسن المخارج ويظن بهم أحس المذاهب" مقدمة الرسالة 8، وانظر الشفا 432.

ولا يلتفت إلى هراء العلمانيين ودعوتهم إلى نقد التاريخ بدعوى رفع القداسة عن الأشخاص، وذلك مكرا منهم حتى تزدري الأجيال قدرهم فتسقط القدوة بهم من نفوس أبناء المسلمين فيتنكبوا سنتهم التي أمرنا بالتمسك بها.

وقال ابن دقيق رحمه الله: وما نقل عنهم فيما شجر بينهم واختلفوا فيه فمنه ما هو باطل وكذب فلا يلتفت إليه وما كان صحيحا أولناه تأويلا حسنا لأن الثناء عليهم من الله سابق وما ذكر من الكلام اللاحق محتمل للتأويل، والمشكوك والموهوم لا يُبْطل المحقق والمعلومس نقلا عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومذاهب الناس فيهم للعجلان 360.

إتباع منهجهم وطريقتهم:

لقد أمرنا الله تبارك وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم بإتباع طريقة الصحابة وسنتهم.

قال تعالى: "وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ".

قال ابن القيم رحمه الله تحت فصل: الأدلة على أن إتباع الصحابة واجب: "فأما الأول من الوجوه أحدها: ما احتج به مالك وهو قوله تعالى (ثم ذكر الآية) وقال: فوجه الدلالة أن الله تعالى أثنى على من اتبعهم فإذا قالوا قولا فاتبعهم متبع عليه قبل أن يعرف صحته فهو متبع لهم فيجب أن يكون محمودا على ذلك وأن يستحق الرضوان" إعلام الموقعين 123/4-124.

وقال تعالى: "وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيراً".

قال بن أبي جمرة الأندلسي رحمه الله: "وقد قال العلماء في معنى قوله تعالى "وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ": إن المراد بذلك الصحابة والصدر الأول لأنهم هم الذين تلقوا مواجهة الخطاب..."بهجة النفوس.

وقال عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح: "...فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ...".

قال المباركفوري رحمه الله: زليس المراد بسنة الخلفاء الراشدين إلا طريقتهم الموافق لطريقته صلى الله عليه وسلمس تحفة الأحوذي 503.

وقال إبراهيم النخعي رحمه الله بلغني عنهم (أي الصحابة) أنهم لم يتجاوزوا بالوضوء ظفرا ما جاوزته به، وكفى على قوم وزرا أن تخالف أعمالهم أعمال أصحاب نبيهم صلى الله عليه وسلم"إعلام الموقعين 151/4.

وختاما: قال العلامة السفاريني رحمه الله: "ولا يرتاب أحد من ذوي الألباب أن الصحابة الكرام هم الذين حازوا قصبات السبق واستولوا على معالي الأمور من الفضل والمعروف والصدق والأمانة وغير ذلك، والسعيد من اتبع صراطهم المستقيم واقتفى منهجهم القويم، والتعيس من عدل عن طريقهم" لوامع الأنوار 381/2 بتصرف.

العدد 12 - 05 جمادى الثانية 1427 الموافق لـ 01 يوليوز 2006

تنبيه هام: إن هذه الجريدة تتضمن آيات من القرآن الكريم فالواجب عدم امتهانها

العدد 12 - 05 جمادى الثانية 1427 الموافق لـ 01 يوليوز 2006

لا تغتر بكثرة أهل الباطـــل

من المأثور عن سلفنا الصالح رضوان الله عليهم قولهم: "لا تستوحش في طريقك من قلة السالكين، ولا تغتر بكثرة الهالكين"، ولذا فإن ميزان الطريق الحق موافقته للكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة، بخلاف ما عليه أهل الباطل فكثيرا ما تجدهم يروجون باطلهم بدعوى كثرة أتباعه مع أن الله تعالى ذم الأكثرين في مواضع من ذلك قوله سبحانه: "وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ" قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: إن أكثر الناس خارجون عن طاعة ربهم مخالفون للحق ناكبون عنه كما قال تعالى: "وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ" وقال تعالى: "وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللّهِ" تفسير القرآن العظيم 90/2.

قال تعالى: «وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ»

قال الموفق أبو محمد المقدسي رحمه الله: "ومن العجب أن أهل البدع يستدلون على كونهم أهل الحق بكثرتهم وكثرة أموالهم وجاههم وظهورهم، ويستدلون على بطلان السنة بقلة أهلها وغربتهم وضعفهم فيجعلون ما جعله النبي صلى الله عليه وسلم دليل الحق وعلامة السنة دليلا على الباطل، فإن النبي صلى الله عليه وسلم أخبرنا بقلة أهل الحق في آخر الزمان وغربتهم وظهور أهل البدع وكثرتهم، ولكنهم سلكوا سبيل الأمم في استدلالهم على أنبيائهم وأصحاب أنبيائهم بكثرة أموالهم وأولادهم وضعف أهل الحق" حكاية المناظرة في القرءان 585/7.

وقال ابن القيم رحمه الله عند ذكره لروايات حديث: "بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا...": "فهؤلاء هم الغرباء المدوحون المغبوطون ولقلتهم في الناس جدا سموا غرباء، فإن أكثر الناس على غير هذه الصفات، فأهل الإسلام في الناس غرباء، والمؤمنون في أهل الإسلام غرباء، وأهل العلم في المؤمنين غرباء، وأهل السنة الذين يميزونها من الأهواء والبدع فهم غرباء، والداعون إليها الصابرون على أذى المخالفين هم أشد هؤلاء غربة، ولكن هؤلاء هم أهل الله حقا فلا غربة عليهم وإنما غربتهم بين الأكثرين الذين قال الله عز وجل فيهم: "وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللّهِ" فأولئك هم الغرباء من الله ورسوله ودينه وغربتهم هي الغربة الموحشة وإن كانوا هم المعروفين المشار إليهم" المدارج 205/3.

فاحذر أيها العبد من كثرة أهل الباطل ولا تغتر بذلك فتجعله معيارا للحق والصواب ولا يكن شعارك: "أنا مع الناس".

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "لا يكن أحدكم إمَّعَة قالوا: وما إمعة قال: يقول أنا مع الناس إن اهتدوا اهتديت وإن ضلوا ضللت ألا ليوطن أحدكم نفسه على أنه إن كفر الناس لا يكفر" الفوائد لابن القيم 148.

فإن قيل: إن هرقل لما سأل أبا سفيان عن أتباع النبي صلى الله عليه وسلم: أيزيدون؟ قال أبو سفيان: نعم فقال هرقل: وكذلك الإيمان.

فجعلت الكثرة معيارا على صحة النبوة فالجواب من وجهين:

أولا: أن هذا لم يؤخذ لوحده، بل كان بعد أن استدل بسائر الأمور على صحة نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

ثانيا: أن الجواب: "يزيدون" ولم يكن: "أكثر الخلق" فعددهم كان في زيادة وليس في نقصان ومجموع الزيادة بالنسبة إلى سائر الخلق قليل، وهذا المفهوم مطابق لمنطوق قول النبي صلى الله عليه وسلم: "بدأ الإسلام غريبا" رواه مسلم.

فتمسك أيها العبد بالحق وسر على طريقه وإن كان أهله قلة فالجماعة ما وافق الحق وإن كنت وحدك، واستشعر بقلبك مرافقة الرعيل الأول الصالح "فَأُوْلَـئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَـئِكَ رَفِيقاً".

التفريق عند الحكم بين الإطلاق والتعيين

من القواعد العظيمة المقررة عند علماء أهل السنة والحديث التفريق عند الحكم على الأفراد بين النوع والمعين، والإطلاق والتعيين، فليس كل من وقع في الكفر وقع الكفر عليه، وكذلك البدعة والفسق، وذلك لأن زمسائل التكفير والتفسيق هي من مسائل الأسماء والأحكام..."الفتاوي 468/12.

ومن المعلوم أن الحكم الشرعي لا يتم في حق المعين وإسقاطه عليه إلا بعد توفر الشروط وزوال الموانع المبسوطة في كتب أهل العلم.

قال السعدي رحمه الله:

ولا يتم الحكم حتى تجتمـع
كل الشروط والموانع ترتفع

قال شيخ الإسلام رحمه الله: "وأما الحكم على المعين بأنه كافر أو مشهود له بالنار: فهذا يقف على الدليل المعين، فإن الحكم يقف على ثبوت شروطه وانتفاء موانعه" الفتاوي 498/12.

ولذلك كان إقدام كثير من الناس على هذا الباب الخطير زلل مبين مرير لما يتعلق به من "الوعد والوعيد في الدار الآخرة، وتتعلق به المولاة والمعاداة والقتل والعصمة وغير ذلك في الدار الدنيا، فإن الله سبحانه أوجب الجنة للمؤمنين وحرم الجنة على الكافرين" الفتاوي 468/12.

وعليه فالبتُّ والحكم في مثل ذلك من خاصية العلماء الذين أنيطت بهم إقامة الحجة على الخلق.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: "ليس لأحد أن يكفر أحدا من المسلمين وإن أخطأ وغلط حتى تقام عليه الحجة وتبين له المحجة، ومن تبث إسلامه بيقين لم يزل ذلك عنه بالشك، بل لا يزول إلا بعد إقامة الحجة وإزالة الشبهةس الفتاوي 466/12.

وكان يقول رحمه الله: "...إني من أعظم الناس نهيا عن أن ينسب معين إلى تكفير وتفسيق ومعصية إلا إذا علم أنه قد قامت عليه الحجة الرسالية التي من خالفها كان كافرا تارة وفاسقا أخرى وعاصيا أخرى..." الفتاوي 229/3.

لماذا اخترنا الملف؟

حتى يكون المسلمون على بصيرة مما يبيت لدينهم من شرور، وما يثار حولهم من شكوك، وما يدبر لهم من مؤامرات، وما يوضع في طريقهم من عقبات، ليصرفوا عن دينهم ويزهدوا في إتباع رسولهم وليقضوا على وحدتهم وأخوتهم بأيديهم، ويعلموا من يشيعُ الكفر والإلحاد بينهم، ويزرع عوامل التحلل والفساد بين صفوفهم، ويحوّل مواطن القوة العزة فيهم إلى مواطن الضعف والذلة، من أجل ذلك كان هذا الملف.

ومن قبل قال أحد منظري التغريب وأكبر راسمي خطته: "إن الغرض من الجهود المبذولة لحمل المسلمين على الحضارة الغربية هو تفتيت الحضارة الإسلامية التي تقوم عليها وحدة المسلمين، وتغيير خصائصها تغييرا جدريا عن طريق النشاط التعليمي والإعلامي والثقافي، الذي من شأنه أن يترك في المسلمين -من غير وعي منهم- أثرا يجعلهم يبدون في مظهرهم العام لا دينيين" (هاملتون جب).

إن الجهود الجبارة التي ينهض بها الخصوم الألداء، والحقدة الأقوياء، ليصلوا إلى تحقيق أغراضهم، والأحداث الخطيرة التي يحياها العالم، والتطورات العجيبة التي تمر بالبشرية، لتفرض على المسلمين أن يأخذوا حذرهم مما يُحاك لهم، خاصة أن دعاة التغريب قد تمكنوا من الوصول والتحكم في مناصب القرار، والتولي على المؤسسات ذات الأثر الكبير على هوية المجتمع ومستقبله، هذا مع ما تمرُّ به بلادنا من ضغوط وكيدٍ خارجي، صار دعاة التغريب عيناً وأذناً منفذة لأهدافه بثقة عمياء.

إن خطر دعاة التغريب على المجتمع عظيم جدا، فهُم يعملون على حرب الفضيلة وتشويه القيم الإسلامية وتغيير هوية المجتمع، إضافة إلى سَعيِهم الحثيث نحو تجفيف منابع الخير وجرّها إلى ضروب الانحراف والبعد عن الدين بتحجيم المؤسسات الشرعية وتقليص المناهج الدينية في المؤسسات التعليمية الرسمية والخيرية.

لقد حمل لواء الدعوة إلى التغريب داخل المجتمع المغربي طـائفة من رجال التيار اللاديني العلماني، سعوا بمكر ودهاء لسلوك أي طريق يمكنهم من الوصول إلى أهــدافهــم المشبوهة، سالكين أساليب ملتوية في طرح أفكارهم، متظاهرين بالدفاع عن قضـينا الوطنية والدولية، ليتخذوها مطية لتمرير أفكارهم الموبوءة.

فهم يعملون على قدم وساق لدحض قيم العفاف والفضيلة، وتغيير المجتمع ثقافيا واجتماعيا وفكريا، وصبغه بالنموذج الغربي، ومحاربة السلوكيات الدينية في المجتمع، حتى صرح أحد قيادييهم والمسؤول عن وزارة الشباب في برنامج حوار بالقناة الأولى بأن: "أعداءه وأعداء اليسار (أصحاب الشمال) كافة، هم المحافظون وأعداء الديموقراطية، إن وُجدوا!".

لقد وضع العلمانيون داخل المغرب مخططهم وحددوا عدوهم "المحافظون" وركزوا جهودهم، وجمعوا حشودهم، وقاموا يرفعون عقيرتهم لنشر ضلالهم، بعد أن خلا لهم الجو بالتقييد الرسمي للعلماء ومنعهم من التدخل في الشأن العام، بدعوة أن ذلك من اختصاصات السياسيين.

فطغت مظاهر التغريب حتى شملت مناحي متعددة من حياتنا إن على مستوى التعليم أو الاقتصاد أو السياسة أو الاجتماع.

من أجل هذا كله عملت جريدة السبيل على نشر هذا الملف محاولة منها في إبراز خطر التغريب، وتهديده لهويتنا وانتمائنا.

هذا هو التغريـــب

الملف من إعداد: نبيل غزال

التغريب تيار فكري ذو أبعاد سياسية واجتماعية وثقافية وفنية، يرمي إلى صبغ حياة الأمم بعامة، والمسلمين بخاصة بالأسلوب الغربيّ، وذلك بهدف إلغاء شخصيتهم المستقلّة وخصائصهم المتفرّدة، وجعلهم أسرى التبعية الكاملة للحضارة الغربيّة.

التغريب والعلمانية لا فرق بينهما فالعلمانية هي ثقافة الغرب وأساس أنظمته السياسية والاجتماعية والاقتصادية والتربوية، ومن يحاول نشرها في البلاد الإسلامية يسمى من دعاة التغريب، فكل داعية للتغريب هو داعية للعلمانية، والعكس صحيح.

يسعى الغرب بكل قوة إلى غزو دول العالم الثالث -كما يسمونها- ثقافيا بغرض محو هويتها المتميزة وتشكيل أنماط سلوكها وعقلياتها وأساليب حياتها وفق الحياة الغربية، وهذا يساهم في عدم استقرار الأحوال العامة لهذه الدول سياسيا واقتصاديا وفكريا، وما يتبقى بعد ذلك من إنتاج أبنائها يصبح في حالة تبعية للثقافة الأجنبية، والذي يهمنا في هذا المقام هو الجانب المتعلق بالعالم الإسلامي من هذا الغزو.

ارتبطت عملية التغريب في العالم الإسلامي بظاهرتين خطيرتين:

الأولى: الأخذ بمبدأ فصل الدين عن الدولة بل قل عن الحياة (النظام العلماني)، كما هو معمول به في أوروبا بعد تخلصها من سيطرة وبطش الكنيسة وتسلط رجال الدين، ومعلوم أن هذا كان سببه معارضة رجال الدين النصارى للنهضة العلمية في أوروبا عند ظهورها، وليس في الإسلام تعارض بين الدين والعلم، ولا يُتصَور في الفهم الإسلامي فصل الدين عن الدولة.

الثانية: التقليد الأعمى للحضارة الغربية المادية، حيث امتد هذا التقليد ليشمل الجوانب الاجتماعية والأخلاقية والعقائدية، بل فاق هذا التقليد تقليد الحضارة الغربية في نهضتها العلمية، مما أدى بالتالي إلى ذوبان الشخصية المسلمة عند كثير من المسلمين وتحولت حياتهم إلى صورة منسوخة من الحياة الأوروبية المادية تأخذ أسوأ ما فيها وتترك الاستفادة بأفضل ما عندها من العلوم الدنيوية النافعة.

وبكلّ أسف فقد حقّقت حركة التغريب نجاحا مذهلا، واستطاعت أن تتغلغل في كل بلاد العالم الإسلامي، وإلى كلّ البلاد المشرقيّة، على أمل بسط بصمات الحضارة الغربية المادية الحديثة على هذه البلاد، وربطها بالغرب فكرا وسلوكا.

لقد تعالى تأثير حركة التغريب، فظهر بوضوح في مصر، وبلاد الشام، وتركيا، وأندونيسيا، والمغرب العربيّ، وتدرج بعد ذلك في البلاد الإسلامية.. ولم يخل بلد إسلامي من آثار وبَصَمَات هذه الحركة.

إنّ التغريب تيار مشبوه، يهدف إلى نقض عُرَى الإسلام والتحلل من التزاماته وقيمه واستقلاليته، والدعوة إلى التبعية للغرب في كل توجهاته وممارساته.. ومن واجب العلماء وقادة الفكر الإسلامي كشف مخططاته، والوقوف بصلابة أمام سمومه ومفترياته، التي تبثها الآن شخصيات مسلمة، وصحافة ذات باع طويل في محاولات التغريب، وأجهزة وثيقة الصلة بالصهيونية العالمية والماسونية الدولية، لقد استطاع هذا التيار استقطاب كثير من المفكرين العرب، فمسخوا هويتهم، وحاولوا قطع صلتهم بدينهم، والذهاب بولائهم وانتمائهم لأمتهم الإسلامية، من خلال موالاة الغرب والزهو بكل ما هو غربيّ، وهي أمور ذات خطر عظيم على الشباب المسلم.

كيف دخل التغريب=العلمانية إلى المجتمعات المسلمة

يرى بعض الباحثين أن الشرارة الأولى للغزو بالفكر والقيم اتقدت في ذهن "لويس" التاسع (611-669هـ /1214-1270م) ملك فرنسا وقائد آخر حملتين صليبيتين كبيرتين على العالم الإسلامي، فحينما هُزم في الحملة الصليبية السابعة، وأُسِر بالمنصورة سنة 648هـ/1250م، أتيحت له فرصة التأمل والتدبر، فوضع مخططاً من أربعة محاور لغزو جديد (سلمي) للعالم الإسلامي.

وقد نشط هذا المخطط مجدداً بدءاً من عام (1082هـ/1671م) على يد الملك "لويس الرابع عشر" بواسطة وزيره الشهير "كليبر" الذي كلف بعض المعتمدين في الشرق بالبحث عن المخطوطات العربية.

يقول الدكتور محمود المقداد: "وقد تلقن الفرنسيون هذا الدرس القاسي باشتراكهم مع الأوروبيين الآخرين في هذه الحروب، وخلاصة هذا الدرس أن الحملات المسيحية الأولى إلى الأرض المقدسة وإلى مصر، جاءت من غير خطة مدروسة جيداً، ومن غير معرفة شيء عن أخلاق الشعوب التي ذهبوا لقتالها أو عن تسليحهاس، ثم يقول: "وهكذا حاول الفرنسيون أن يتعرفوا أخلاق العرب والشرقيين وعاداتهم وتقاليدهم وما لهم من معارف وثقافات.. ولهذا اتجه الغربيون عامة والفرنسيون خاصة إلى جمع أعداد من المخطوطات.. وقد جُنِّد لهذا الغرض رهبان ومنصرون وتجار وجواسيس ودبلوماسيون وسفراء في العالم العربيِ، ورحَّالة وسواح ومستعربون، كلِّفوا خصيصاً بهذا العمل" تاريخ الدراسات العربية في فرنسا.

ففي أرض مصر إذن بدأ المخطط يدور في رأس "لويس التاسع" ملك فرنسا، وبعد أكثر من 500 عام، وعلى ثغر الإسكندرية من أرض مصر أيضاً نزل القائد الفرنسي "نابليون بونابرت" يُنفِّذ الحملة الفرنسية (علمانية العقل والفكر صليبية القلب والجنان) على العالم الإسلامي سنة 1213هـ/1798م.

لم تستغرق هذه الحملة عسكرياً أكثر من ثلاث سنوات، ولكنها خلفت وراءها زلزالاً كبيراً كانت قد أعدت له عدته، وكانت أحوال المسلمين مُهيَّأة له، وأهم ملامح هذا الزلزال:

- التوجه إلى تهميش القوى الإسلامية المناهضة للتبعية للغرب وتنحيتها، الذي تطوَّر بعد ذلك إلى محاربة تلك القوى، كما وضح التوجه إلى تدجين بعض المشايخ واستمالة أصحاب النفوذ والتأثير بإيجاد وثاق متين بينهم وبين الغرب وإدخالهم في نطاق التبعية لفرنسا.

العدد 12 - 05 جمادى الثانية 1427 الموافق لـ 01 يوليوز 2006

- إشاعة الفجور والتحلل الأخلاقي بواسطة نساء الغرب وبغاياهم، كما شجعوا الفسقة وضعاف النفوس من المسلمين على الخوض فيه والتبجح به، وكان واضحاً حرصهم على إفساد المرأة المسلمة بإشغالها عن وظيفتها في بناء الأنفس والعقول.

- إثارة النعرات الوطنية وروح الفخر بهذا الماضي الوثني، مع عد المسلمين ضمن الغزاة لأراضينا، فمن ذلك قولهم في أحد المنشورات الموجهة إلى الشعب المصري: "..وإن العلوم والصنائع والقراءة والكتابة التي يعرفها الناس في الدنيا أُخذت عن أجداد أهل مصر الأُوَل، ولكون قطر مصر بهذه الصفات طمعت الأمم في تملكه، فملكه أهل بابل وملكه اليونانيون والعرب والترك الآن.." (تاريخ الجبرتي أحداث شهر ربيع الثاني، 1213هـ).

وهذا أحد أسباب بذل جهودهم المعروفة في التنقيب عن الآثار الفرعونية وإبرازها والاهتمام بها، ومن ضمن هذه الجهود تأسيس معهد الآثار الفرعونية.

حاول "نابليون" بكل قوته إيجاد قاعدة دعائية له ولمبادئه العلمانية التغريبية بإرسال بعثات إجبارية لبعض الأشخاص، ليشكلوا بعد عودتهم تياراً يدعو إلى التغريب ويغير من تقاليد البلاد وعاداتها، كما عمل على غزو المسلمين اجتماعياً باستخدام الفن والتمثيل والموسيقى، وقد ذكر ذلك صراحة في رسالة بعث بها بعد رحيله من مصر إلى خليفته "كليبر" يقول في ختامها: "ستظهر السفن الحربية الفرنسية بلا ريب هذا الشتاء أمام الإسكندرية أو البرلّس أو دمياط، يجب أن تبني برجاً في البرلس، اجتهد في جمع 500 أو 600 شخص من المماليك، حتى متى لاحت السفن الفرنسية تقبض عليهم في القاهرة أو الأرياف وتسفِّرهم إلى فرنسا، وإذا لم تجد عدداً كافياً من المماليك فاستعض عنهم برهائن من العرب أو مشايخ البلدان، فإذا ما وصل هؤلاء إلى فرنسا يُحجزون مدة سنة أو سنتين، يشاهدون في أثنائها عظمة الأمة الفرنسية ويعتادون على تقاليدنا ولغتنا، ولمَّا يعودون إلى مصر يكون لنا منهم حزب يضم إليه غيرهم.

كنتَ قد طلبتَ مراراً جوقة تمثيلية، وسأهتم اهتماماً خاصاً بإرسالها لك، لأنها ضرورية للجيش، وللبدء في تغيير تقاليد البلاد!" (الطريق إلى ثقافتنا للشيخ محمود شاكر ص:108) ولكن يبدو أن مقتل "كليبر" على يد سليمان الحلبي وما تلاه من أحداث حال دون تنفيذ هذا المسعى.

وهذا ما يفسر تركيز العلمانيين معظم جهودهم في نشر الأغاني الماجنة والدفاع عن المغنيات اللبنانيات المتهتكات، والإكثار من المهرجانات الموسيقية والسينمائية من أجل تغيير ما تبقى من التعاليم الإسلامية لدى المسلمين.

تلك هي أهم ملامح الحملة الفرنسية على قلب العالم الإسلامي، وقد ظلت هذه الملامح نفسها هي ملامح الحملات العلمانية (المحلية!) اللاحقة، ونلاحظ في نتائج هذه الملامح أنها ولَّدت الآثار المطلوبة لقيام العوامل المساعدة بدورها التفاعلي، فإذا كان الغزو الفكري المنظم لم يظهر بصورة كاملة، فإن الحملة حققت نجاحاً ملحوظاً في الغزو النفسي والاجتماعي للمسلمين، وهو ما أدى إلى هزيمة نفسية أمام الغرب لدى كثير من المسلمين، ومن ثم استعدادهم للتلقي عن هذا المنتصر حضارياً، فالحملة الفرنسية أطلقت قبل رحيلها رصاصة العلمانية والتغريب التي أصابت عقل الأمة بعد حين من هذا الرحيل، أو بعبارة أخرى: قلَّبت الأرض الهامدة وأثارتها حتى تهيأت لغرس البذور الفكرية الأولى للعلمانية والتغريب، وقد تولى القوميون واليساريون والاشتراكيون والشيوعيون بعد الحملات الاستعمارية على بلاد المسلمين مهمة غرس تلك البذور ورعايتها ثم قطف ثمارها.

المغرب وخطورة المد العلماني التغريبي

اخرج الإمام مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان عليه أن يَدُلَّ أمته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شر ما يعلمه لهم، وإن أمتكم هذه جعل عافيتها في أولها وسيصيب آخرها بلاء وأمور تنكرونها، وتجيء فتن فوق بعضها بعضاً، وتجيء الفتنة فيقول المؤمن: هذه هذه، فمن أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه، ومن بايع إماماً فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه إن استطاع فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر".

إن مشروع التغريب لا يُمكن اعتباره صناعة محلية نتجت عن قناعات أبناء المسلمين، بل الأمر يتعدى ذلك، حيث يقدم له الدعم من جهات خارجية بشكل علني متسترة وراء دعم الديمقراطية وحقوق الإنسان، مما ترتب عن ذلك شيوع فتن وشبهات أصبح لها اليوم محاضن تتبناها، ونخّاسة يروجونها بُغية إضعاف التمسك بالدين، ونشر الفساد في الأرض وكان لابد لهذه الفتن من قوة تمرِّرها وتسوِّغ أهدافها، يزامنها إضعاف للمناعة التي ترفض فتن الشبهات والشهوات، وما عرف التاريخ أخطر من طائفة المندسين في صفوف الأمة يدّعون الغيرة على العباد والبلاد وهم دعاة الضلال والفساد "وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ، أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ".

دعاة التغريب والفتن

ما عرف التاريخ أفرح من تلك الطائفة بالفتن وأسرع ركضاً بها ولها ودعوة إليها واستغلالاً لظروفها في الانقضاض والهجوم على ثوابت الأمة في عقائدها وعباداتها وأخلاقها، ويبدأ التمهيد لمؤامرة هؤلاء المفسدين في المجتمعات الإسلامية، بكثرة الحديث عن العلماء في معرض الذم والتنقيص والاستخفاف بمكانتهم ومن منزلتهم، ثم يُعقبونه دعوة إلى توسيع دائرة التلقي والأخذ بالفتاوى الشاذة من كل مصدر وجِهَة تنتسب إلى الإسلام بغض النظر عن مرجعيتها وتاريخها وحجم الثقة بها، ثم يتبعه أيضاً تشكيك في كل نشاط علمي أو دعوي سواء كان دورات شرعية أو حلقات علمية أو محاضن لتعليم القرآن في المساجد والكتاتيب والجمعيات، وكل ذلك تحت شعار نقد التطرف والإرهاب، قام بذلك قنوات فضائية "2M" وأقلام صحفية "الأحداث المغربية، الصباح..."، نعم لقد شهد مجتمعنا صوراً أليمة من الغلو والتطرف تمثلت في تفجيرات الدار البيضاء المؤلمة، استغلها الانتهازيون من دعاة التغريب لتعميم الصورة واتهام كل عبد صالح مستقيم وكل عمل دعوي علمي نزيه، بغية تضييق الحصار على الفضيلة والقيم والحياء، وتوسيع دائرة القبول للشك والريب في الثوابت والرموز، ونظمت معركة الزحف لتغريب المجتمع المغربي ضمن معركة استراتيجية، وُزعت أدوارها بدقة بالغة على مجندين ومتطوعين ومنظمين بل وعملاء فيهم من بني جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا ويدعون الغيرة على الدين والوطن، ولقد قال فرعون من قبل: "ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ" فهل كان فرعون يخاف من نبي الله موسى على دين رعاياه؟ وهل جاء موسى عليه السلام بالفساد؟ فتأمل.

إننا مهما علت أصواتنا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلاّ أن هناك حدودا لا يجوز تجاوزها، خاصة في زمن الأزمات والمحن، كالالتفاف حول ولاة الأمر والصدق معهم في عقد البيعة وميثاق الولاء في طاعة الله ورسوله، أمرٌ لا يمكن التهاون به أو التفريط فيه، إذ الأمر عندنا عقيدة راسخة تلقيناها منذ نعومة أظفارنا، عكس ما يفعله دعاة التغريب والعلمنة من حملات انتهازية عند هبوب الفتن والنكبات من توجيه نيران المدفعية الإعلامية على البيعة وتحديد اختصاصات المؤسسة الملكية وعلى الشأن الديني وعلمائه وخطبائه، والملتزمين بدينهم عامة.

أهل العلم والعقل يلتفون حول ولاة أمرهم إذا اشتدت الفتن، يشيدون أزرهم ويناصحونهم يبينون مكامن الخلل ومواطن الزلل بإخلاص وصدق ومحبة وولاء وطاعة وامتثال لأمر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، أما دعاة التغريب وبنو علمان فقد جعلوا منابرهم منصات لإطلاق صواريخ تضرب في كل اتجاه وتستهدف الاستقرار والوحدة والثوابت والطهر والعفاف في كل مظاهر الخير في المجتمع مستغلين الأزمات والظروف لشن الحرب القذرة الشرسة على الدين والقيم والخصوصية والهوية.

لاشك ان الدعاة التغريب عاجزون عن التصدي للفكر التكفيري الذي استهدف أمن البلاد وأرواح العباد، وفي مقابل ذلك لا تراهم يتصدون في مقالاتهم وكثير من كتاباتهم للمؤامرات الغربية التي تحاك ضد البلاد ووحدتها، ولو أن تحقيقاً مستقلاً أُجري عن توجه كثير من المنابر الإعلامية والأقلام الصحفية التي يسيطر عليها كثير من هؤلاء وعن مدى خدمتها لقضايا الوطن والمجتمع لأدرك الجميع أن التحيز للفكر الغربي والنقد اللاذع لكل ما هو شرعي يعتبر سمة بارزة في عامة دعوة هؤلاء، سواء في مقابلاتهم أو مقالاتهم أو في تحقيقاتهم بل حتى في صياغة كثير من قضايا المحلية والمشكلات المجتمعية وطريقة عرض الصور ومتابعة الشؤون الثقافية والفكرية تراهم لا يخرجون عن هذا، بل ويصرح كبراؤهم بأن الحرب التي يخوضونها هي الحرب ضد المحافظين.

فقد نشرت الصحيفة العلمانية "الأحداث المغربية" مقالات متعددة تحت محور "على مسؤوليتي" مفادها التنقص من الشريعة الإسلامية من جملتها مقال تحت عنوان "أمريكا تغزو العالم بالعلم ونحن نغزوه بالفقه" كأن ليس بيننا وبين أن نصنع الطائرات إلا نبذ الفقه، وكأن ليس بيننا وبين أن ندخل في التصنيع الثقيل إلا أن تمزق المرأة حجابها وأن تضع الفتاة حياءها لتضرب به عرض الحائط، وكأن ليس بيننا وبين أن ننافس دول العالم في التقنيات والاكتشافات والاختراعات إلاّ نبذ الدين جملة وتفصيلا، أي وطنية يدعيها عملاء التغريب الذين يسعون إلى نحر الوطن وتمزيقه وضرب ثوابته والأساس الذي قام عليه باسم السعي إلى مصلحته، تماماً كما يسعون إلى تنحية الإسلام عن التحكم في جميع شؤون الحياة، لقد بلغ من تهاونهم بمصالح الوطن أن أجروا مقابلات مع أعداء الوحدة الترابية، وما فتئوا يلمعون رموزاً من الحاقدين على البلاد وعلى كثير من العلماء والدعاة وترويج صور مغلوطة وذلك لكون هؤلاء العلماء والدعاة وطلبة العلم وأساتذة الجامعات تصدوا للفكر التكفيري الاستئصالي وللفكر العلماني التغريبي، واتهموهم أنهم سطحيون لا يدركون مصحة الوطن ولا يسعون إلى تحقيقها. وأما العلماء والمؤسسة الدينية عامة فأولئك عندهم تاريخ يجب أن يطوى، وذكرٌ يجب أن ينسى، وقضية لا يجوز العودة إليها بعد أن دخلنا في الألفية الثالثة.

العدد 12 - 05 جمادى الثانية 1427 الموافق لـ 01 يوليوز 2006

تنبيه هام: إن هذه الجريدة تتضمن آيات من القرآن الكريم فالواجب عدم امتهانها

المغرب والحرب الفرنكفونية

لمحة تاريخية:

في أواخر الستينات، وخاصة بعد إعادة انتخاب "الجنرال ديجول" رئيساً لفرنسا للفترة الثانية في 1966/12/5م بعد أن كانت حركات التحرر والاستقلال تتقوى من مختلف الدول التي كانت تخضع للاستعمار الفرنسي في إفريقيا وآسيا، ركز "ديجول" سياسة فرنسا على المحاور الآتية:

1- تثبيت الاقتصاد الفرنسي.
2- التقارب مع ألمانيا للتخلص من النفوذ الأمريكي.
3- إبعاد بريطانيا من السوق الأوروبية المشتركة.
4- دخول فرنسا ميدان الإنتاج الذري.

فلا غرابة إذن أن يختفي المستعمر الفرنسي خلف الستار بعد استقلالات الستينات ليحرك بأصابعه من خلف الكواليس أناساً قد أحكم صبغتهم ، يتشدقون بقيم الاستعمار الجديد وثقافته، ويتعهدون بنبذ الثقافات الوطنية والقيم الدينية الأصيلة وراء الظهور فكانت الفركوفونية وسيلة من وسائل الاستعمار الجديد، اتخذتها فرنسا للضغط على مجموعة من الدول النامية وتوجيه سياستها.

كانت فرنسا تتظاهر بالانعزال عن فكرة تأسيس منظمة الفرنكفونية في أوائل انبثاق الفكرة سنة 1960م لعاملين رئيسَيْن:

الأول: شعورها بالعار من جراء الجرائم البشعة التي ارتكبتها ضد الشعوب في عهد الاستعمار.

الثاني: تخوفها من أن تتهم بمحاولة استخدام اللغة الفرنسية كأداة جديدة للإمبريالية والسيطرة على الدول التي فقدتها منذ عهد قريب، فمن المعلوم تاريخياً أن الدول التي تعتبر مهد اللغة الفرنسية ومنبعها الأصيل مثل فرنسا وبلجيكا وكيبيك ليست هي التي دعت علناً إلى تأسيس منظمة الفرنكفونية، ولكنها كانت تحرك الحبال من خلف الستار.

وقد برز من بين المتشدقين بالفرنكفونية كل من العلماني الحاقد "الحبيب بورقيبة" من تونس و "شارل حلو" من لبنان و "نورو دوم سيهانوك" من كامبوديا وغيرهم.

لقد لقيت دعوة هؤلاء في بداية أمرها مقاومة عنيفة من قبل قادة التحرر الوطني في إفريقيا وآسيا، الذين كانوا يَصفون دعاة الفرنكوفونية بالخونة، مما أخر تنظيم الحركة رسمياً وهيكلتها حتى عام 1970م حيث أنشئ أول فرع من فروعها المتخصصة وهو "TCCA" (وكالة التعاون الثقافي والتقني) في (نيامي) عاصمة النيجر.

في 16 يونيو 1921م أصدر "المارشال ليوطي" أول مقيم عام فرنسي بالمغرب إلى رؤساء المناطق المدنية والعسكرية التعليمات التالية:

"..إن العربية هي عامل من عوامل نشر الإسلام، لأن هذه اللغة يتم تعلمها بواسطة القرآن، بينما تقتضي مصلحتنا أن نطور البربر خارج إطار الإسلام، ومن الناحية اللغوية، علينا أن نعمل على الانتقال مباشرة من البربرية إلى الفرنسية..".

وقد نشرها "بول مارتي" في كتابه (مغرب الغد) الصادر بباريس سنة 1925م، وشرحها موضحا: "..إن كل تعليم للعربية، وكل تدخل من الفقيه، وكل وجود إسلامي، سوف يتم إبعاده بكل قوة، وبذلك نجذب إلينا الأطفال "الشلوح" عن طريق مدرستنا وحدها، ونبعد متعمدين كل مرحلة من مراحل نشر الإسلام..". وهذا ما يفسر عزوف المجاهدين المقاومين وكل الشعب المغربي عن إرسال أولادهم للتعلم في مدارس المستعمر.

بعد عشر سنوات، جاءت فرنسا بالظهير البربري سنة 1930م، لعزل البربر عن الإسلام، وتمزيق وحدة الشعب والدولة المغربية، فاصطدمت بأثني عشر قرنا من تاريخ هذه الوحدة، التي بناها الإسلام فعلا بالقرآن: "إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُون". لكن الحرب الفرنكفونية ضد الإسلام و اللغة العربية، التي أعلنها مؤسس اللفرنكفونية "أونسيم ركلو" سنة 1889م، ستعرف أعظم انتصاراتها بعد استقلال المغرب مع الجيل المتفرنس، وخلال أربعين عاما الماضية، خضعت الأجيال الجديدة لغسل مكونات شخصيتها وهويتها الدينية و الثقافية و التاريخية، ليصبح المغرب معها نموذجا متميزا لظاهرة سقوط العالم العربي المعاصر، وَصَفه مدير صحيفة أسبوعية بأنه: "أكثر الدول ارتشاء وفسادا، والأكثر طبقية، والأكثر تفسخا".



وعندما أعلن برنامج الأمم المتحدة للتنمية البشرية أن المغرب يصنف في المرتبة 125 بين دول العالم، لم يَحمَرَّ وجه أحد من السياسيين أو المثقفين أو المسؤولين خجلا وأسفا، بل لم يتساءل أحد منهم ولا من مراكزهم الثقافية والسياسية: كيف حدث هذا؟ ومتى؟ومن المسؤول عنه؟

تغريب التعليم المغربي

هذه اللمحة السريعة عن تاريخ المحاولات الفرنسية لفرنسة الدول الأجنبية عن فرنسا، تؤكد لنا أن فرنسا لم تتخل قط عن سياستها هذه رغم انهيار إمبراطوريتها الاستعمارية، بل هي تجد في استمرار هذه السياسة، التي تضمنت وجودها اللغوي والثقافي في مستعمراتها ومحمياتها الإفريقية السابقة، خير عزاء لها عن فقدان هذه الإمبراطورية، فهذا الوجود اللغوي يضمن لها تلقائيا استمرار نفوذها السياسي والاقتصادي في هذه الأقطار، وفي رأي أحد الزعماء الوطنيين أن فرنسة المغرب المستقل تمثل نوعا من التشفي الذي يمارسه الاستعمار الجديد ضد الشعوب التي حصلت على استقلالها السياسي عنه.

والخطير في الأمر أن عملية فرنسة المغرب ظلت تسير بخطى حثيثة رغم إرادة الشعب المغربي، فقد وقع إحكامها وتعميمها وتشجيعها، فلم تقتصر على وسائل الإعلام كلها، أو على الإدارة المغربية كلها، أو على الإعلانات وأسماء الشوارع فقط، وإنما استهدفت بصفة أخص، فرنسة الأجيال الناشئة باسم التعليم، فسلكت في هذا الميدان اتجاهين طبقيين متكاملين يمثلان صورة المغرب المتفرنس "المستقل"، الذي يحلم الاستعمار الجديد بأن يحل محل المغرب الفرنسي المحمي:

الأول: يتمثل في مدارس البعثة الفرنسية حيث تجري عملية فرنسة أبناء الطبقة البورجوازية لغة وفكرا وعاطفة، وإعدادها للتعليم العالي لكي تتسلم الأعمال الكبرى والمناصب العليا في الإدارة المغربية، وتلعب دورها الذي هيئت له في التنكر والعداء للحضارة العربية الإسلامية، ومحاولة ربط المغرب إلى الأبد بمصالح الغرب الاستعمارية ودعم "البورجوازية" المغربية الجديدة بإطارات قيادية صالحة لتكون صلة وصل بين الاستعمار القديم والاستعمار الجديد.

الثاني: يتمثل في التعليم الرسمي العمومي وهو الخاص بأبناء الشعب الذين تجري عملية فرنستهم بنسبة 33 في الابتدائي، و66 في الثانوي، والذين يحصلون منهم على الباكلوريا نسبة قليلة جدا، لأن دورهم في المغرب المتفرنس ينحصر في أن يكونوا أعوانا للرؤساء في المكاتب الإدارية، وعملة ومساعدين في الخدمات العامة، إذا ساعدهم الحظ في الحصول على عمل، لذلك يجب أن يتقنوا اللغة الأجنبية التي هي لغة الإدارة الحكومية، ولغة الأعمال والمصالح العامة، والتي قد تصبح اللغة الرسمية أيضا، بعد أن تكون نسبة الناطقين بها قد ارتفعت بين الشعب، بحيث يستحيل حينئذ التخلي عنها، أو إحلال العربية محلها.

وإذا كان الكثيرون يتسابقون لتسجيل أبنائهم في مدارس البعثة الفرنسية فرارا من مدارس الحكومة -وليس في هذا أي شرف للحكومة- فليس ذالك لمحبتهم في التفرنس، ولكن لأنهم يخشون المصير التعس الذي ينتظر أبناءهم.. وليس في هذه أي حجة لأولئك الذين يتخذونها في كل مناسبة حجتهم الكبرى على أن الشعب يهيم حبا بالفرنسية، ولا يبغي بها بديلا، دون أن ينتهوا إلى أنهم بهذا الموقف إنما يؤكدون إفلاس التعليم الحكومي، ذلك أن المواطن الصالح لا يمكن أن يتخلى عن بضاعته الوطنية إلى البضاعة الأجنبية إلا إذا كانت رديئة الإنتاج.

وعندما اندلعت إضرابات المدارس الثانوية في المغرب في شهر ماي 1970م، وتلتها إضرابات جميع كليات الجامعة، تلك الإضرابات الخطيرة التي أقيل على إثرها وزير التعليم العالي، وعين وزير الأول محله، والذي أعلن بأنه مستعد لفتح في حوار مع الطلبة لحل جمع مشاكلهم عندما حدث كل ذلك، وعندما نظمت الدولة مناظرة إفران لهذا الغرض، كان هذا يعني أن الوعي بأخطار السياسة الفرنسية قد بلغ درجة الخطورة بالنسبة للدولة، فلم تعد النخبة هي التي تعي هذ الأخطار، ولكن الطلبة والتلاميذ والآباء ورجال التعليم جميعا أصبحوا يدركون أن سياسة فرنسة التعليم يستحيل معها تكوين الأطر المغربية .

يرجع للاستزادة ولمعرفة موقف العلماء والمثقفين والأساتذة إلى: كتاب "مواقف وآراء علماء المغرب من التأسيس 1960م إلى المؤتمر العاشر 1987م" للأمين العام لرابطة علماء المغرب سابقا الحاج أحمد بن شقرون رحمه الله، وكتاب "ثمانون عاما من الحرب الفرنكفونية ضد الإسلام واللغة العربية" للدكتور إدريس الكتاني.

العدد 12 - 05 جمادى الثانية 1427 الموافق لـ 01 يوليوز 2006

العدد 12 - 05 جمادى الثانية 1427 الموافق لـ 01 يوليوز 2006

هدية لدعاة التغريب والإختلاط

جاء في دراسة صدرت عن معهد المرأة في العاصمة الإسبانية مدريد أن مليون و310,000 عاملة تعرضت لنوع من أنواع التحرش الجنسي عام 2005 م، أي 15 من مجموع عدد العاملات في إسبانيا الذي يبلغ 8 ملايين و425 ألف عاملة.

وأشارت الدراسة إلى أن 40,000 عاملة ستغير مكان عملها لهذا السبب، وقالت مسؤولة المساواة بين الرجل والمرأة في المعهد "سوليداد موريو": أن رد فعل العاملة تجاه التحرش هو عدم التقدم بشكوى، بصورة عامة، عندما يكون التحرش بسيطا، ولكن عدد الشكاوى يرتفع بارتفاع طبيعة التحرش، ومع ذلك ووفقا لدراسات المعهد من خلال زياراته الميدانية والاستطلاعية فإن عدد اللواتي يتجرأن على التقدم بشكوى لا يتجاوز 25 من مجموع حالات التحرش.

ولوحظ أن 56 من المؤسسات التي تقع فيها مثل هذه الحالات لا تتصرف بجدية مع المشكلة، كما أنه لم تصدر أحكام رادعة ضد المعتدي بشكل مُرْضٍ إلا في 8 من مجموع الدعاوى المقدمة.

وتتراوح حالات التحرش بصورة عامة، بين التحرش الشفهي والإلحاح في طلب لقاء وطرح أسئلة جنسية أو نظرات موحية إلى ذلك، ثم تتصاعد حتى تصل إلى اللمس والتحسس والقرص.

وتضيف الدراسة أن أسباب عدم تقدم العاملة بشكوى ضد التحرش عديدة ومتشعبة، أهمها عدم ثقة العاملات في إنزال العقوبة بالمعتدي كما ينبغي، ولا تتقدم بشكوى غير 25 من مجموع العاملات اللواتي تعرضن للتحرش.

وحسب استطلاعات المعهد بين اللواتي تعرضن للتحرش، فان 38 منهن يخشين التقدم بشكوى لظنهن أنها ستعود ضدهن، فيتهمون العاملة بأنها هي التي تحرشت، وقالت 43 منهن أنهن يضطررن إلى التحمل والسكوت خشية فقدانهن لأعمالهن.

وجاء في الدراسة أيضا أن حوالي نصف الذين يقومون بالتحرش هم من زملاء العمل، و27 منهم من رؤساء العمل، و23 من الزبائن.

وتلفت الدراسة أيضا إلى أن اغلب هؤلاء العاملات يعانين من أمراض نفسية مثل القلق والسهر واللامبالاة والخوف والتعرض للكوابيس.

فهل صانت النظم العلمانية الغربية كرامة نسائها وحققت لهن العدالة والمساواة كما يدعي العلمانيون في بلاد المسلمين؟ فما بال العلمانيين لا يكادون يفقهون حديثا؟

التغريب وتقويض الهوية

إن المرحلة الثقافية التي تميز العلاقة الحضارية بين الغرب والشرق الإسلامي تتمثل في مرحلة التغريب التي بدأت من غزو السفاح "نابليون" مصر عام 1798 م، وقد استمر التغريب سمة ثقافية بارزة حتى بعد أن اضطر الغرب إلى تقويض خيامه العسكرية والرحيل، أما كيف حدث ذلك؟ فيحدثنا الكاتب الفرنسي زك. موريلس بسخرية عن تلك الفترة فترة تصفية الاستعمار: "..إذا أرّخنا للمعارك فقد أخفق الاستعمار، ويكفي أن نؤرخ للعقليات لنتبين أننا إزاء أعظم نجاح في كل العصور، إن أروع ما حققه الاستعمار هو مهزلة تصفية الاستعمار.. لقد انتقل البيض إلى الكواليس، لكنهم لايزالون مخرجي العرض المسرحي.." (نقلاً من كتاب سيرج لاتوش، تغريب العالم).

ويشير المؤرخ الأمريكي "دافيد فرومكين" عن تلك الحقيقة في كتابه زسلام ما بعد سلامس بقوله: "كان أمراً مألوفاً في بدايات القرن العشرين، عندما كان "تشرشل" وضيوفه يمضون الوقت في رحلتهم على متن اليخت "أنشانترس"، أن يفترض المرء أن الشعوب الأوربية ستواصل القيام بدور السيطرة الذي تمارسه في الشؤون العالمية إلى أبعد ما تستطيع البصيرة أن ترى، وكان من الشائع أيضاً الافتراض أن الشعوب الأوربية بعد أن أنجزت معظم ما اعتبره كثيرون رسالة الغرب التاريخية أي تحديد المصير السياسي للشعوب الأخرى على الكرة الأرضية فلا بد أنها متممة هذه الرسالة، وكانت بلدان الشرق الأوسط بارزة بين البلدان التي كان على الأوربيين التعامل معها، إذ هي بين قلة من المناطق المتبقية على كوكبنا دون أن يعاد تكوين شكلها اجتماعياً وثقافياً وسياسياً على صورة أوروبا ومثالها..".

إذن كان التغريب الثقافي والفكري على صورة أوروبا ومثالها هدف من أهداف الاستعمار العسكري وهيمنته على المجتمعات الإسلامي، وبالفعل تمكنت أوروبا من تحويل اتجاه طلائع المثقفين العرب إلى الفكر والفلسفة الأوربية، لتبدأ حركة الترجمة الثانية، ولكنها هذه المرة حركة مفروضة من الخارج ترى في أوروبا المثال والنموذج، وترى في التراث الإسلامي التأخر والرجعية، وأصبحت تنظر للحضارة والثقافة من منظار غربي لا أثر فيه للتميز الحضاري، بل أن "نسير سيرة الأوربيين، ونسلك طريقهم لنكون لهم أنداداً ولنكون لهم شركاء في الحضارة، خيرها وشرها، حلوها ومرها، وما يحب منها وما يكره، وما يحمد منها وما يُعاب، وأن نشعر الأوربي بأننا نرى الأشياء كما يراها، ونقوم الأشياء كما يقومها، ونحكم على الأشياء كما يحكم عليها.." (كما أصل لذلك التغريبي طه حسين، أنظر كتابه مستقبل الثقافة في مصر).

الحقيقة أن التغريب يجري على قدم وساق، ويواجه العالم الإسلامي وبقية دول ما يسمى بالعالم الثالث، بشكل لم يسبق له مثيل، خطر تفتيت الهوية الثقافية والاجتماعية، وعلى الرغم من أن مسيرة التغريب قد بدأت منذ وقت طويل، إلا أنها بدأت تأخذ أشكالاً مختلفة أكثر خطورة منذ سقوط الشيوعية، وانفراد القوة الأخرى بالمسرح العالمي، فقد سيطرت المنظومة الليبرالية الرأسمالية على المنظمات الدولية: الأمم المتحدة، صندوق النقد الدولي، اليونسكو، منظمات الإغاثة العالمية، البنك الدولي وأخيراً منظمة التجارة العالمية، وتمكنت عن طريق السيطرة على هذه الهيئات من فرض القوانين الدولية التي تراعي نظامها ومصالحها، كما سيطرت المنظومة الليبرالية الرأسمالية على وسائل الإتصال الحديثة وتمكنت بفضل التقدم التقني الهائل من الوصول بقيمها ومعتقداتها إلى جميع بقاع العالم تقريباً.

إن سوق المعلومات شبه احتكار لاربع وكالات:

- "أسوشيتيد برس" و"يونايتد برس" الولايات المتحدة.
- "رويتر" بريطانيا.
- "فرانس برس" فرنسا .

يتدفق 65 من المعلومات العالمية من الولايات المتحدة، ومن 30 إلى 70% من البث التلفزيوني مستورد من المركز .. وهذا الفيض من المعلومات لا يمكنه إلا أن يشكل رغبات وحاجات المستهلكين، أشكال سلوكهم، عقلياتهم، مناهج تعليمهم، أنماط حياتهم" بالطريقة التي تخدم مصالح الدول الإمبريالية.(سرج لاتوش، تغريب العالم)....

وربما كان من أخطر مظاهر التغريب في العلاقات الدولية أن أصبح الاقتصاد والقوة المالية هي العامل الأساسي في علاقات وتحالفات الدول، فلا قيم ولا ثقافة، ولا مبادىء، وهذا يؤكده المفكر والاقتصادي الفرنسي "جاك أتالي" بقوله : "إن البشرية تدخل في مرحلة من الزمن جديدة تماماً، التاريخ يتسارع، التكتلات تتفكك، "الديمقراطية" تحقق انتصارات جديدة، ممثلون ورهانات جديدة تبرز على المسرح، أمام هذه التحولات التي تبدو في ظاهرها مبعثرة لا يربط فيما بينها أي رابط، يسود لدى المراقبين الحذر من النماذج الموجودة، ويغلب الاستسلام لمزاج القوى العديدة التي تحرك كوكبنا، كما يغلب الميل إلى إعطاء السوق دورًا حاسماً في كل شيء بما في ذلك دور الحكم في مصير الثقافات.." (جاك أتالي آفاق المستقبل).

مظاهر التغريب داخل مجتمعنا المغربي

قال "سوردون-Sordon": "إن الأسلحة الفرنسية هي التي فتحت البلاد البربرية فلأصحاب هذه الأسلحة الحق في اختيار التشريع الذي يجب تطبيقه في البلاد.. ، وإذا كانت العادات العرفية البربرية (أي التي كانت للبربر قبل إسلامهم) لم يكن لها مناص من الاضمحلال أمام مشروع مدون (يعني الشريعة الإسلامية) فلماذا لا تضمحل أمام شرعنا نحن الفرنسيين"

لقد شخّص رسول الله صلى الله عليه وسلم داء التغريب في قوله الشريف: "لتتبعن سَنَن من كان قبلكم، شبرا بشبر وذراعا بذراع، حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه، قلنا: يا رسول الله! اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟!". متفق عليه.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في شرح هذا الحديث: "ضَب": دويبة معروفة.. والذي يظهر أن التخصيص إنما وقع لجحر الضب لشدة ضيقه ورداءته، ومع ذلك فإنهم - لاقتفائهم آثارهم واتباعهم طرائقهم - لو دخلوا في مثل هذا الصغير الرديء لتَبعوهم. فتح الباري 574/6.

إن إتباع آثار اليهود والنصارى، ممثلا في اقتفاء آثار الغرب في طرائق معايشهم ومناهج حياتهم، أصبح من الأمور المميزة لحياتنا اليومية، وتتعدد مظاهر هذه التبعية في أمور شتى، نحاول استعراض أغلبها أو أهمها في النقاط الآتية:

- **إعطاء أسماء أجنبية للمؤسسات التعليمية والمحال التجارية:**

فالمتجول في شوارعنا الوطنية يهوله هذا الكم الخطير من الإعلانات التي تحمل أسماء أجنبية، إما مكتوبة بحروف عربية -وهو الأدهى والأمر- أو مكتوبة باللغة الفرنسية أو الإسبانية أو الإنجليزية، فهذا محل للسيارات يطلق على نفسه "الألفي موتورز" ومؤسسة تعليمية تدعى "سانت ماركوريت ماي"، ومدينة للألعاب تدعى "Magic park" ومحل أدوات كهربائية لمالك مسلم سماه باسمه وأضاف إليه إسم "إليكتريك هاوس" ومحل ألعاب اسمه "Club Beach"، ومحل "Blue Eyes" لبيع المستلزمات الطبية للعيون، أما المراكز التجارية الكبرى فحتى أسماء السلع المعروضة تكتب بالفرنسية، إن هذه مجرد أمثلة لأسماء عديدة غيرها تصدم المتجول بالشارع، وتجعله يشعر بأنه في بيئة غربية غير البيئة العربية التي يحيا فيها!

- **تقليد الغرب في اللباس والكلام والعادات شبرا بشبر وذراعا بذراع:**

فهاهن بناتنا ترتدين الملابس على الموضة الغربية، وتمشيين في الشارع شبه عاريات قلما تجدهن من غير صحبة شاب، حتى أصبح من النادر رؤية فتاة تمشي محتشمة تظهر زيها الإسلامي، بل أصبحت رؤية من ترتدي النقاب أو الخمار ومن يرتدي الجلباب ويطلق لحيته هو الاستثناء، وما تعرت بناتنا وتكشفن إلا تقليدا لبنات المستعمر الأجنبي، وهذا من آثار الاستيلاب الذي يمارسه عادة كل منتصر على نفسية وسلوك المنهزم.

وفي أسلوب الحوار، تجدهم يحاولون إقحام كلمات باللغة الفرنسية أو الإنجليزية أثناء الحديث، حتى يبدو المتكلم كأنه زمتفقس! فلا يخلو الحديث من إقحام كلمات مثل: "D'accord" و"Ça vas" و"Bay Bay" و"end-week" و"Bon" و"Bonjour" و"Bonsoir" و"Evidement"... الخ.

وفي ذلك هجران للغتنا وتقليل من شأنها، خاصة مع وجود البدائل لكل تلك الكلمات والعبارات في ديننا وثقافتنا.

وسائل الإعلام المغربية والتغريب:

لوسائل الإعلام المختلفة المسموعة منها والمكتوبة والمرئية أثرها البالغ على صناعة الرأي العام وتوجيه، وتثقيف الجماهير وتحديد ميولاتهم وقناعاتهم، لذا عمد الغرب إلى توجيهها لخدمة أهدافه والسيطرة عليها وإعداد من يتولون أمرها من بعدهم لاستكمال ما بدؤوه.

ولقد نجحوا في ذلك إلى حد بعيد، قال المستشرق "جب" موضحا أهمية اهتمام الغرب بالصحافة لتغريب المسلمين: "..وللوصول إلى هذا التطور الأبعد..الذي تصبح الأشكال الخارجية بدونه مجرد مظاهر سطحية، يجب ألا ينحصر الأمر في الاعتماد على التعليم في المدارس، بل يجب أن يكون الاهتمام الأكبر منصرفا إلى خلق رأي عام، والسبيل إلى ذلك هو الاعتماد على الصحافة". الغزو الفكري والتيارات المعادية.

ثم يستطرد مقررا: "إن الصحافة هي أقوى الأدوات الأوربية وأعظمها نفوذا في العالم الإسلاميس المصدر السابق، ثم يبين نتائج هذا الغزو الفكري عن طريق الصحافة قائلا: "إن النشاط التعليمي والثقافي عن طريق المدارس العصرية والصحافة قد ترك في المسلمين من غير وعي منهم أثرا جعلهم يبدون في مظهرهم العام لا دينيين إلى حد بعيد.. وذلك خاصة هو اللب المثمر في كل ما تركت محاولات الغرب لحمل العالم الإسلامي على حضارته.." المصدر السابق.

فالصحافة تلعب دورا بارزا في توجيه عقول الناس وتشكيل عواطفهم، وهي تسير في خدمة التغريب ونشر أفكاره بصورة واضحة، فصحفنا اليومية كـ (الأحداث المغربية، الصباح..) والمجلات الأسبوعية والشهرية (TELQUEL; FEMME DU MAROC) مليئة بصور السعي إلى الفساد والترويج للفاحشة، خاصة المجلات المهتمة بالمرأة والسينما والفن والمسرح، إلى جانب صفحات الحوادث المثيرة والصفحات الرياضية التي تشغل فكر وعقول الشباب بما لا ينفعهم ويضيع أوقاتهم.

أما ما تبثه وسائل إعلامنا الوطني من مسلسلات وأفلام وبرامج في غالبيتها ترويج للنموذج الغربي سواء على مستوى اللغة أو القناعات، فما أكثر المظاهر المخلة بالحياء والقيم والآداب الإسلامية التي تروج لها قنوات إعلامنا، وذلك من خلال الأفلام الأوربية والأمريكية والمكسيكية التي تعمل على نخر هوية أمتنا وإبراز القيم الغربية البعيدة والمنافية للإسلام، حتى أصبحت الأسرة المسلمة يستحيل اجتماعها أمام جهاز التلفاز.

ويرى الكثير من المتتبعين لهذا العبث الإعلامي التغريبي أن أهداف هذه الجرائد والمجلات هو إشغال الشباب خاصة والناس عامة عن مشاكل أمتهم الكبرى، وقضاياهم الرئيسة، وجعلها متنفسا للجماهير تفرغ من خلالها همومها اليومية التي لا تنتهي، ولكن أخطر جوانبها السلبية يتمثل في إبعاد الناس عن الإسلام وتطبيع المعاصي في سلوكهم، وصبغ حياتهم بما لا يتلاءم مع آداب الإسلام وأخلاقياته.

الإكراهات المالية والتغريب

وفي التفكير والسلوك، هيمن النمط الغربي على أفراد أمتنا، فتجدهم يغرقون في الديون الطويلة والقصيرة الأجل من أجل شراء بيت أو سيارة أو قضاء عطلة أو عيد أو غير ذلك من الكماليات، ولا يهتمون بما إذا كانت هذه المعاملات تحرّم لارتباطها بالربا أو ماشابهها من المعاملات المحرمة.

عادة الاستهلاك والتغريب

إن الهدف الرئيس لتغريب المجتمعات المسلمة جعلها سوقا استهلاكية خصبة لترويج المنتجات والسلع الغربية، وبتغيير العادة الاستهلاكية لهذه الشعوب تزداد متطلباتها ومنه تزداد مشترياتها، في المأكل والمشرب، فأصبحنا نسمع عن القروض الربوية لتغطية مصاريف العطل والسفريات.

أما فيما يخص السلوك اليومي لتناول وجبات الغذاء فقد انتشرت في شوارعنا ثقافة محلات تقديم الوجبات السريعة "السندوتشات" نتيجة الضغط الإداري والاقتصادي مما جعل الدور التربوي الكبير الذي يمثله الالتفاف الجماعي للأسرة حول مائدة الطعام خلال الوجبات الرئيسة يصبح شبه منعدم، فانعدمت معه الآداب الإسلامية التي تنظم طريقة الأكل والشرب.

فرض النظم والقوانين الأوربية بالقوة

عمد المستعمر الفرنسي على تشويه الفطرة وتلويثها وتغيير التشريع الإسلامي بل ومحوه، وإحلال القوانين الوضعية محل الشريعة الإسلامية المطهرة، ورسم خطوط التعليم والاقتصاد والاجتماع على ما يوافق تفكيرهم وتوجههم، فكانت الطامة الكبرى خروج أجيال من الإسلام عنادا واستكبارا، وانحراف مفاهيم آخرين، حتى ظنوا بتأثير التربية الاستعمارية الغربية أن الإسلام مثل الديانة النصرانية المحرفة، أي عقيدة في الضمير والوجدان دون أن يطبق نظامه على المجتمع، وظنوا أن الدين لا علاقة له بواقع الحياة، بل هو مختص بالشعائر التعبدية كما هو الشأن في الديانة النصرانية المحرفة (ما لله لله، وما لقيصر لقيصر).

من هنا يتبين خطر المستعمر في تدمير الشريعة الإسلامية وأن الاستعمار كان هدفه الرئيس تحريف الشريعة الإسلامية، من أمثلة ذلك فرض فرنسا لقوانين وضعتها على مسلمي البربر لعزل الشريعة عن حياتهم باستعمال القوة، يقول "سوردون-Sordon" واضع هذا التشريع: "إن الأسلحة الفرنسية هي التي فتحت البلاد البربرية فلأصحاب هذه الأسلحة الحق في اختيار التشريع الذي يجب تطبيقه في البلاد..، وإذا كانت العادات العرفية البربرية (أي التي كانت للبربر قبل إسلامهم) لم يكن لها مناص من الاضمحلال أمام مشروع مدون (يعني الشريعة الإسلامية) فلماذا لا تضمحل أمام شرعنا نحن الفرنسيين"، فأدخل القانون الفرنسي في المغرب سنة 1913م.

الآثار المدمرة لهذا الانقلاب التشريعي الخطير

لم تكن الشريعة الإسلامية مجرد حدود وتعزيزات تطبق، ولكنها إقامة المجتمع على أسس أخلاقية سامية وحمايته من الكثير من صور الفساد والانحطاط، لذا استقر المجتمع الإسلامي في ظلها قرون عديدة، فلم يعرف المجتمع في سلوكه الظاهر وواجهته العلنية ما في المجتمعات الغربية من دور البغاء المرخصة، وحانات الخمور، وبيوع المراهنات، ووسائل إشاعة الفاحشة من الملاهي والمراقص، وغاية ما وجد من ذلك يعتبر منكرا يحرص صاحبه على إخفائه لأن الشريعة ("قانون" الأمة) تعاقب صاحبه عليه وتعزره، ولأن العرف العام الذي رسخته الشريعة في النفوس يستنكره ولا يرضى به.

كل هذه المظاهر هي مجرد نماذج لما أصاب هويتنا في مقتل، ذلك أن أهم شيء فطن إليه أعداؤنا هو ما تضيفه إلينا هويتنا من عزة وفخر، فكانت محاولاتهم الدؤوبة والمتكررة لمسخ تلك الهوية وتشويه صورتها، والآن وبعد وضوح هذه المخططات وآثارها على مجتمعاتنا، فإما أن نظل ملتزمين بهويتنا الإسلامية، وإما أن ننجرف مع التيار فيبتلعنا ونهلك ونصبح نسيا منسيا.

العدد 12 - 05 جمادى الثانية 1427 الموافق لـ 01 يوليوز 2006

الأخذ بالتقنية الحديثة لا يقتضي تبنّي القيم الغربية "نعم للتحديث لا للتغريب"

إن أمر بعض الكتاب الغربيين لعجب، إنهم يعترفون بأن بلادهم تعاني من مشكلات أخلاقية واجتماعية توشك أن تهوي بها في مكان سحيق، لكنهم يودون مع ذلك من كل عباد الله في سائر البلاد أن يتبنوا قيمهم التي توشك أن توردهم موارد الهلاك، وإلا كانوا أعداء للحداثة مكتوباً عليهم أن يعيشوا ويموتوا متخلفين، إن توهم اللزوم بين القيم الغربية في الأخلاق والسياسة والاقتصاد والاجتماع الذي بدأ يشيع في عصرنا منذ زمن طويل، والذي جعل بعض المفسدين ينادي بأخذ كل شيء من الغرب -على عجره وبجره- إن هذا التوهم أسطورة تقوم على عدم التمييز بين الأسباب الفاعلة والملابسات العارضة، كالذي يقول لك إنك لا يمكن أن تأخذ التقنية منهم وتترك رقصهم وأغانيهم وتحريمهم الزواج بأكثر من واحدة، وينسى أو يتناسى أن هذه كانت سيرة القوم قبل أن يكون لهم علم طبيعي أو تكون لهم تقنية، فلا علاقة لهذا بذاك ولا بالعصر الذي نعيش فيه.

لقد كتب منظرهم "فوكوياما" كتاباً أسماه بـ (الانفراط العظيم) ذكر فيه أن الدول الصناعية كلها تعاني من تفكك اجتماعي، عزا معظمه إلى تفكك في الأسرة، وذكر أن من أسباب تفكك الأسرة اختلاط النساء بالرجال في أماكن العمل، وانتشار حبوب منع الحمل، ونظريات جعلت الإباحية تحرراً، وأن هذا كله أدى إلى ازدياد في معدلات الخيانات الزوجية، ومعدلات الطلاق، وأن تفكك الأسرة أدى إلى سوء تربية الأطفال، وإلى نقص في ما يسمونه بالرأسمال الاجتماعي: نقص في الثقة في الزعماء السياسيين، ورجال الدين، وازدياد في معدلات الجريمة، وتعاطي المخدرات.

أَلِمِثْلِ هذا يدعونا "فوكوياما" اليوم إذ يدعونا إلى تبني القيم الغَربية، وإذ يزعم أن دعوته هذه ليست ناتجة عما يسمى بالعمى الثقافي، وإنما لأن القيم الغربية هي القيم العصرانية الصالحة لأن تكون عالمية، وأننا إذا لم نأخذ بها فلا أمل لنا في تحديث مجتمعاتنا؟ إن لم يكن هذا هو العمى الثقافي فلا ندري ما هو؟!

إن التحديث في جوهره هو الأخذ بكل الوسائل العلمية والتقنية والإدارية التي يتطلبها العصر والتي لا تكون الأمة بغيرها أمة قوية في اقتصادها وسلاحها وإعلامها، فهل يوجد في الإسلام ما يتناقض مع شيء من هذا المطلب؟

ألم يأخذ المسلمون في تاريخهم بكل ما تطلّبته عصورهم المختلفة في هذه المجالات حتى صاروا إلى نهاية القرن السادس عشر الميلادي القوة العالمية الأولى في مجال التقدم العلمي والتقني والسلاح البري والبحري؟ فإذا كانوا قد حققوا كل هذا في الماضي مع استمساكهم بدينهم فما الذي يمنعهم من تحقيقه تارة أخرى من غير ترك لهذا الدين؟ إن تخلف المسلمين المعاصر في هذه المجالات إن عزي إلى أي شيء فلا يمكن أن يعزى إلى دينهم، إذ ما الذي يجعلهم يَعْمَوْنَ فجأة عن حقيقة دينهم فيرونه متناقضاً مع أمور كانت من أسباب قوتهم وعُلُوِّهِم؟

لكن الغربيين والمستغربين معا يوهمون البشرية جمعاء والمسلمين على وجه الخصوص أن للتحديث شرطاً آخر ضرورياً يتناقض مع شريعة رب العالمين: إنه العلمانية، فصل الدين عن الحياة وليس عن الدولة فقط، وجعل الدين أمراً فردياً خاصاً، زاعمين أن السلم المدني لا يتأتى إلا في نظام علماني لا يكون للدين فيه نصيب.

لكن تاريخ الغرب يحدثنا بأن العلمانية لم يسبق لها أن حققت هذا السلم على المستوى العالمي، إذ إن أول حربين عالميتين في تاريخ البشرية حدثتا بين بلدان غربية علمانية، ونتج عنهما من الضحايا البشرية والدمار والفساد ما لم يكن له مثيل في تاريخ البشرية.

إن كثيراً من الغربيين أنفسهم يرون أن العلمانية سبب أساس إن لم تكن السبب الأول لتلك الأمراض التي ذكرها "فوكوياما" في كتابه، وأن المجتمعات الصناعية كلها تعاني منها، والتي سرت عدواها إلى العالم كله بما فيه عالمنا الإسلامي بسبب إصرار بعضنا على التقليد الأعمى لكل ما هو غربي.

عجباً لأمر الغربيين الذين يقولون إن ديننا هو سبب ضعفنا وتخلفنا، أفتراهم حريصين على أن نكون أقوياء؟

كيف وهم يَعُدُّوننا العدو الأول بعد سقوط الشيوعية؟

كيف وهم يرون أن الصدام بين الحضارات قادم لا محالة؟

أفيريدون لعدوهم أن يملك من القوة ما يملكون، ولذلك فهم ينصحونه أن يأخذ بأسبابها التي منها إقصاء الدين؟

كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً.

إننا نحن معشر المسلمين موقنون بأن الكتاب الذي بين أيدينا هو كلام ربنا عز وجل الذي أنزله على رسوله صلى الله عليه وسلم، نقرؤه بلغته التي أنزل بها، ولا نجد فيه رغم تطاول الزمن ما يخالف حقيقته من ملايين الحقائق العلمية التي اكتشفت بعد نزوله، بل إننا لنرى في كل يوم مصداق ما به أخبر، والحكمة في ما عنه نهى أو به أمر، فلماذا نترك حقنا لباطلهم؟

وقد صدق الإمام مالك رضي الله عنه حين عبر عن هذا الموقف بقوله: "أو كلما جاءنا رجل هو أجدل بحجته من الآخر، تركنا قول محمد صلى الله عليه وسلم، وتركنا ما نزل به جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم لقوله؟!" ومعنى كلامه رحمه الله: لو أن المسألة بالجدل والمراء والمنازعة، لكان كلما جاءنا رجل أجدل من الآخر، تركنا ما أنزل الله تعالى، وما نزل به جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم لكلامه، ثم يأتي من هو أجدل منه، فنترك أيضاً كلام من قبله لكلامه، وهكذا.

سبل العلاج ووسائل الحد من المد التغريبي

إن أولى خطوات العلاج في سبيل تأصيل هويتنا الإسلامية، وصد الأبواب أمام زحف دعاة التغريب والعلمنة يتمثل في إدراك خطورة العلاقات غير المتكافئة بين الفريقين، واتخاذ منهجية عمل واضحة يمكن إبرازها في النقاط الآتية:

- بعث العقيدة الإسلامية الصحيحة والتركيز عليها في المقررات والمناهج التعليمية.
- تحصين الفرد والمجتمع بترسيخ المعتقد الإسلامي في النفوس عبر وسائل الإعلام المرئية و المسموعة، ونشر الفكر الإسلامي الأصيل بين الناس ليكون الركيزة الأساسية للنهضة.
- التشجيع على إنشاء الدور والكتاتيب القرآنية لترسيخ مبادئ الانتماء والهوية عند الأطفال والشباب.
- عقد المؤتمرات والندوات والمحاضرات لتسليط الضوء على ظاهرة التغريب وبيان خطورتها على الفرد والمجتمع.
- التشجيع على تشكيل جمعيات مختصة لبيان خطورة التغريب.
- تبني مشروع وطني متكامل الأطراف لتوعية المغاربة بخطر التغريب تشترك فيه جميع الفعاليات الحكومية والجمعوية.
- الحد من ثقافة الذوبان اللامشروط في الثقافة الغربية بدعوى الانفتاح على الآخر ونبذ العنف والكراهية.
- القيام بأنشطة دورية داخل المؤسسات التعليمية الثانوية والجامعية للتوعية بخطر التغريب وضرورة محاربته.
- التنسيق بين المجالس العلمية ووزارة التعليم للقيام بالأنشطة المذكورة وغيرها وذلك بخلق لجن مختصة تعطى لها الصلاحيات لولوج المؤسسات التعليمية والاستعانة بمن تشاء، مع تمكينها من الوسائل المادية والبشرية.
- قيام مراكز البحوث الإسلامية والمراجع العلمية بدراسة الغرب، وتفهم منطلقاته وأهدافه ونظم حياته الثقافية والفكرية، لتكون الحاجز الأول لتحصين الهوية الإسلامية.
- استثمار نجاح الصحوة الإسلامية في كسر حدة الانبهار بالغرب، حيث بدأ كثير من الشباب المسلم يعيد النظر في تصوراته وتقويمه للتقدم التقني الغربي، وحتى يتم تعميق الاعتداد بالنفس، والشعور بالانتماء للأمة

العدد 12 - 05 جمادى الثانية 1427 الموافق لـ 01 يوليوز 2006

والتميز الحضاري والفكري، ينبغي نقض وتعرية مفاهيم الغرب وقيمه التي يبثها في العالم (الديمقراطية، الحداثة، الثقافة العالمية..) ولن يتم هذا النقض إلا بمعرفة أسس هذه المفاهيم وتناقضاتها على مستوى التنظير، وآثارها السلبية على مستوى التطبيق في مجتمعاتنا الإسلامية.

- إصرار الإدارات المحلية والبلدية على عدم إعطاء ترخيص للمحلات إلا إذا كان اسمها عربيا خالصا له معنى في اللغة العربية، ولنا في التجربة الفرنسية أسوة بخصوص هذا الموضوع، فقد تشددت فرنسا في عدم استخدام لغات أخرى غير اللغة الفرنسية في جميع المجالات، بل وصل الأمر إلى حد استخدام اللغة الفرنسية في تطبيقات الحاسب الآلي، حفاظا على الهوية الفرنسية من الضياع أو الاندماج في الثقافة الأمريكية، فيمكن استخدام الأسماء العربية في جميع ميادين الحياة.

- تخلي الأسر عن الطموح الجامح، وذلك بأن تعيش في حدود إمكاناتها، والتخلي عن مظاهر الاستهلاك الترفي والمظهري والعودة إلى الدين الصحيح بالالتزام بتعاليم الإسلام فيما يتعلق بعدم الجنوح والإغراق في الديون بغير داعٍ.

- وضع خطة للمبتعثين للدراسة بالغرب، بحيث يكون لكل وفد رئيس من الواعظين ممن يستطيع أن يدحر الشبهات التي تلقى في وجه شبابنا أثناء تلقيهم العلوم بالخارج. كما يجب أن يكون من بين شروط الابتعاث للخارج حفظ قدر معين من القرآن، كما يفضل تنظيم دورة لجميع الأفراد الذين وقع عليهم الاختيار للسفر للدراسة بالخارج يتم فيها دراسة علوم الدين والشريعة وبلغة البلد التي سيتم السفر إليها.

- على الإعلام التوقف عن الترويج للنموذج الغربي بكل قيمه الأخلاقية، فعلى كل المؤسسات أن تقنن الحرية داخلها حتى نعود للاعتدال، لأنه الوسيلة الوحيدة لحياة كريمة ومحترمة.

- الاهتمام داخل الأسرة بحماية الأخلاق، فيجب على الأب أن يعود لدوره الأصلي في تقويم وإرشاد وتربية جميع أفراد أسرته، ذلك أن دور الأب انحصر في الآونة الأخيرة في دور "المول" المتمثل في مجرد جلب المال للأسرة، وترك المجال التربوي داخل الأسرة للتلفاز والشارع.

- معرفة أهداف أعدائنا ومخططاتهم والعمل على التصدي لها، ذلك أن ما يحدث من حولنا إنما هو بتخطيط واعٍ وتدبير مدروس من القوى الغربية والصهيونية التي لا تريدً لنا أن نرتفع أو نتقدم أبدا، إن معرفة ذلك والوعي به يضعنا جميعا أمام الطريق الصحيح للعلاج.

- إنشاء جمعيات خيرية تهتم بمعالجة المشكلات الاجتماعية والأسرية يشرف عليها نخبة من العلماء وذوي الرأي، يوجد فيها فرع نسوي تشرف عليه الداعيات وطالبات العلم بعد تهيئتهن لهذه المهمات، وعدم ترك المجال للاستحواذ العلماني والفكر التغريبي.

- توعية المجتمع وعقد دورات للرجال والنساء في كيفية التعامل مع الزوج، ومعرفة حقوق الزوجة وحقوق المرأة على العموم، وواجبات كل طرف.

- إقامة مؤتمرات لمعالجة قضايا المرأة، والرد على المغرضين ودعاة التحرير يشارك فيها العلماء والدعاة.

- أن ينشط الكتاب والمؤلفون ودور النشر للمشاركة في صد هذا الزحف، من خلال الكتابة في الصحف والمجلات وتأليف الكتب.. والتركيز على رد الشبهات وتفنيدها بأسلوب متين ومنهج علمي شرعي رصين.

- التركيز على تربية المرأة، وتخريج جيل قوي من الداعيات، وإعطائهن الحق داخل دور ومدارس تحفيظ القرآن الكريم، بل وإنشاء كتاتيب خاصة بهن، ذلك باختيار الكفاءات للتدريس والإشراف ووضع المناهج والخطط التربوية، وتوجيه المتميزات، واستغلال الطاقات بإقامة دورات خاصة لهن وإعدادهن للقيادة، وحمل هم الدعوة.

"طه حسين" أبرز دعاة التغريب

"علينا أن نسير سيرة الأوربيين، ونسلك طريقهم، لنكون لهم أنداداً، فنأخذ الحضارة خيرها وشرّها، وحلُوها ومرُّها، وما يُحَبُّ منها وما يُكرَه، وما يُحمَد منها، وما يُعابُ"

(طه حسين)

قبل أن نصدم القراء الأعزاء بتصرحات طه حسين "أبي كلود" كما يكنيه المدير العام للأزهر الشريف سابقا محمد محمد الدهان، نود أن نقرر أن المستعمر الإنجليزي الذي أنبت إسرائيل في فلسطين والقدس هو نفسه من لقب هذه الشخصية المستغربة المستلبة بعميد الأدب العربي ،ومن ثم أعطاها حق العبث في ديننا وأدبنا، أما علماء الأزهر وطلبته فكانوا من خصومه الألداء، وكانوا منه محذرين.

فطه حسين يعتبر أبرز المسؤولين عن كثير من مظاهر الفساد والتحلل التي ينوء بها المجتمع اليوم، لقد خاض معركة بل معارك من أجل "تسميم" ينابيع الإسلام، وتحريف مفهوم النصوص الشرعية وتزييف التاريخ الإسلامي، معتمداً على سياسة المستشرقين في التحول من المهاجمة العلنية للإسلام إلى خداع المسلمين بتقديم طعْم ناعم في أول الأبحاث ثم دس السم على مهل متستراً وراء دعوى "البحث العلمي" و"حرية الرأي!" شأنه في ذلك شأن كل العلمانيين في المغرب كـ"محمد عابد الجابري" و"العروي" و"سعيد الكحل" و"عبد القادر البنة" وغيرهم.

وليس المقام مقام الترجمة لطه حسين، ولكنه مقام التنبيه إلى دوره الخطير في محاربة الإسلام وتهديد حصونه من داخلها، ثم سرد مقتطفات من أقواله وأفعاله التي تبين مدى حقده على هذا الدين وعلى هذه الأمة، ولن نجد أصدق في التعبير عن ذلك من حكم أستاذه "التلمودي" المستشرق "ماسينيون" عليه.

قال الدكتور زكي مبارك: "وقف المستشرق "ماسينيون"، يوم أديت امتحان الدكتوراه فقال: "إنني أقرأ بحثاً لطه حسين أقول: هذه بضاعتنا رُدَّت إلينا" (زكي مبارك للأستاذ أنور الجندي).

وهذه أمثلة من أقواله وتصريحاته:

- "إن القرآن المكي يمتاز بالهروب من المناقشة والخلو من المنطقس تعالى الله عما يقول الملحدون علواً كبيراً".

- "ظهر تناقض كبير بين نصوص الكتب الدينية، وبين ما وصل إليه العلم".

-"إن الفرعونية متأصلة في نفوس المصريين، وستبقى كذلك بل يجب أن تبقى وتقوى، والمصري الفرعوني قبل أن يكون عربيا، ولا يطلب من مصر أن تتخلى عن فرعونيتها، وإلا كان معنى ذلك: اهدمي يا مصر أبا الهول والأهرام، وانسي نفسك واتبعينا، ولا تطلبوا من مصر أكثر مما تستطيع أن تعطي، مصر لن تدخل في وحدة عربية سواء كانت العاصمة القاهرة أم دمشق أم بغداد، وأؤكد قول أحد الطلبة القائل: "لو وقف الدين الإسلامي حاجزاً بيننا وبين فرعونيتنا لنبذناه".

-ومن ذلك أنه دعا طلاب كلية الآداب إلى اقتحام القرآن في جرأة، ونقده بوصفه كتاباً أدبياً يقال فيه: هذا حسن، وهذا (كذا)، تعالى الله عن زندقته علواً كبيراً، فقد حكى عنه (عبد الحميد سعيد) قوله: "ليس القرآن إلا كتاباً، كل الكتب الخاضعة للنقد، فيجب أن يجرى عليه ما يجرى عليها، والعلم يحتم عليكم أن تصرفوا النظر نهائياً عن قداسته التي تتصورونها، وأن تعتبروه كتاباً عادياً فتقولوا فيه كلمتكم، ويجب أن يختص كل واحد منكم بنقد شيء من هذا الكتاب، ويبين ما يأخذه عليه" (من طه حسين؟ لأنور الجندي).

- ومن ذلك قوله: "أريد أن أدرس الأدب العربي كما يدرس صاحب العلم الطبيعي علم الحيوان والنبات، ومالي أدرس الأدب لأقصر حياتي على مدح أهل السنة، وذم المعتزلة، من الذي يكلفني أن أدرس الأدب لأكون مبشراً للإسلام، أو هادماً للإلحاد".

-ومن ذلك قوله: "علينا أن نسير سيرة الأوربيين، ونسلك طريقهم، لنكون لهم أنداداً، فنأخذ الحضارة خيرها وشرها، وحلوها ومرها، وما يُحَبُّ منها وما يكره، وما يحمد منها، وما يُعاب".

- ومن ذلك قوله في تصوير سر إعجابه "بأندريه جيد": "لأنه شخصية متمردة بأوسع معاني الكلمة وأدقها، متمردة على العرف الأدبي، وعلى القوانين الأخلاقية، وعلى النظام الاجتماعي، وعلى النظام السياسي، وعلى أصول الدين"، وذكر أنه يحب "أندريه جيد" ويترسم خطاه، ويصور نفسه من خلال شخصيته.

- ومن ذلك: وصفه لوحشية المستعمرين الفرنسيين وقسوتهم في معاملة المسلمين المغاربة: بأنها "معاناة ومشقة في سبيل الحضارة الفرنسية والمدنية على تلك الشعوب المتوحشة التي ترفض التقدم والاستنارة".

-عمد طه حسين إلى إخراج كل من له رأي أو أصالة من كلية الآداب، واستبقى أعوانه الذين سار بهم إلى الطريق الذي رسمه، وأعانه على ذلك "لطفي السيد" الذي كان مديراً للجامعة، الجبهة الم وفي نفس الوقت تابعاً لخطط "طه حسين"، وخاصة في خطة إنشاء معهد "التمثيل والرقص الإيقاعي"، ودعوة الطالبات إلى الاختلاط، وتحريضهن على ذلك، ومعارضة جماعة علماء الإسلام التي حاولت أن تدعو إلى الدين والأخلاق، وهكذا تحولت الجامعة إلى مجتمع متحلل من قيود الأخلاق الإسلامية، فأقيمت حفلات رسمية في دار الأوبرا جلبت لها الراقصات المحترفات، ومن ثم عرفت حفلات الرقص والسمر في البيوت، مما قصت أخباره بعض الخريجات وغيرها، والرحلات المشتركة، وما كان يجرى في اتحاد الجامعة، ورابطة الفكر العالمي من محاضرات مادية إلحادية، ومقطوعات فرنسية على البيانو، وروايات تمثيلية تقوم على الحب والغرام.. وقد وصل الأمر إلى حد أن أحد الأساتذة الأجانب ضاق ذرعاً بذلك الفساد فكتب يقول: "إنه خليق بالجامعة أن تمثل المثل الأعلى - يعني للطلاب- لا أن تمثل فيهم دور السكير!"

وكان طه حسين يرعى ذلك ويقول: "إن هذا النوع من الحياة الحديثة لن يمضي عليه وقت طويل في مصر، حتى يغير العقلية المصرية تغييراً كبيراً".

بل قال هو عن نفسه: "إنني أفكر بالفرنسية، وأكتب بالعربية".

لقد هوجم طه حسين منذ اليوم الأول إلى اليوم الأخير، لم تتوقف حركة اليقظة عن متابعته وكشف شبهاته وتزييف آرائه، ودحر مخططه، ولكنه مع كل ذلك كان يقبض الثمن، ويكافأ بكل إصرار على خدماته لأعداء الإسلام، فلقد ظل يترقى في المناصب رغم الحملات التي شنها عليه علماء الإسلام في كافة البقاع الإسلامية، ظل يترقى في مخطط مرسوم من أستاذ إلى عميد إلى مدير جامعة إلى مستشار فنيٍ إلى وزير، وظل حتى اللحظات الأخيرة من حياته مشرفاً على اللجنة الثقافية في الجامعة العربية ورئيساً لمجمع اللغة العربية، وله نفوذه الواسع في وزارة المعارف والجامعات.

قال المستشرق "كامفاير": "إن المحاولة الجريئة التي قام بها طه حسين ومن يشايعه في الرأي لتخليص دراسة العربية من شباك العلوم الدينية هي حركة لا يمكن تحديد آثارها على مستقبل الإسلام".

وفي تقرير خطير يصف المكر اليهودي الأمريكي لإبادة الجيل المسلم، وبصورة مكشوفة يطالب التقرير بوجوب الإفادة من آراء "طه حسين" ومؤلفاته.

فهذه لمحة خاطفة عن "طه حسين" الرجل الذي تشهد كتبه بأنه لم يكن إلا بوقاً من أبواق الغرب، وواحداً من عملائه الذين أقامهم على حراسة السجن الكبير، يروِّج لثقافاته، ويعظمها، ويؤلف قلوب العبيد ليجمعهم على عبادة جلاديهم، (ويوطد دعائم الود والتفاهم بين الحمار وراكبه، وهي دعائم تفيد الراكب دائماً، ولا تفيد الحمار)

حصوننا مهددة من داخلها.

العدد 12 - 05 جمادى الثانية 1427 الموافق لـ 01 يوليوز 2006

وثيقة "الكتاب الأبيض"
بين أحلام العلمانيين وسبات المعنيين

عبد الصمد المرابطي

إن أول ما يلاحظ هو حشو المقدمة بمفردات فضفاضة ومصطلحات لا يخرج القارئ معها بشيء سوى الحسرة على تعويم المصطلحات بشكل يوحي للقارئ غير المهتم أنه أمام نص تربوي، أما في الصفحة الخامسة نقرأ ما يلي:

"اعتبارا للفلسفة التربوية المتضمنة في الميثاق الوطني للتربية والتكوين، فإن الاختيارات التربوية الموجهة لمراجعة مناهج التربية والتكوين المغربية، تنطلق من:

-العلاقة التفاعلية بين المدرسة والمجتمع، باعتبار المدرسة محركا أساسيا للتقدم الاجتماعي وعاملا من عوامل الإنماء البشري المندمج.

- وضوح الأهداف والمرامي البعيدة من مراجعة مناهج التربية والتكوين، والتي تتجلى أساسا في:

- المساهمة في تكوين شخصية مستقلة ومتوازنة ومتفتحة للمتعلم المغربي، تقوم على معرفة دينه وذاته ولغته وتاريخ وطنه وتطورات مجتمعه".

(قلت: فهل تتم معرفة الذات من خارج الدين؟

أم أن القصد هو الإشارة إلى تمكنهم من اعتماد فصل الدين عن موضوع الذات؟ والذي ستتولى الفلسفات المغرضة تناوله بما يخدم مصالح العلمانيين).

- اِعتماد مبدأ التوازن في التربية والتكوين بين مختلف أنواع المعارف، ومختلف أساليب التعبير (فكري، فني، جسدي).

(قلت: التعبير الجسدي أي الإيماء والإيحاء بحركات الجسد وما يسمى بالرقص الإيقاعي أو كما يسمونه اكتشاف الذات من خلال الرقص وهذا ما سنعرفه أثناء الحديث عن مادة التربية الموسيقية والمدرجة بدءً من المستوى الأول أساسي) ثم نقرأ في نفس الصفحة دائما:

"- اعتبار المدرسة مجالا لترسيخ القيم الأخلاقية وقيم المواطنة وحقوق الإنسان".

(قلت: هل تم إغفال ذكر القيم الدينية سهوا، أم هناك تمكن يجعل الحديث عن القيم طبعا من داخل الدين، وبالتالي لا مجال للتسرع وتوجيه الاتهام بالفصل بين الدين والقيم؟ هل هناك فعلا تعريف محدد للقيم متبنى من طرف هذه اللجان؟

يقول الدكتور * محمد الدريج: (نلاحظ سكوت الكتاب الأبيض عن موضوع القيم، بحيث لا يقدم تعريفا للقيم ....ولا يقدم أي مبرر على التقسيم الرباعي للقيم والمقتبس أصلا من الميثاق الوطني للتربية والتكوين[1])، نعم هناك تقسيم رباعي منكر (بضم الميم) للقيم تم تفادي ذكره في الصفحة 5 لتطالعنا الصفحة 6 من أولها بما يلي:

"اختيارات وتوجهات في مجال القيم:

انطلاقا من القيم التي تم إعلانها كمرتكزات ثابتة في الميثاق الوطني للتربية والتكوين والمتمثلة في:

- قيم العقيدة.
- قيم الهوية الحضارية ومبادئها الأخلاقية والثقافية.
- قيم المواطنة.
- قيم حقوق الإنسان ومبادئها الكونية".

(قلت: لقد سبقت الإشارة إلى منهجية الحشو والتعويم ونلاحظها جليا في هذه الصفحة، فكيف تنسب المبادئ الأخلاقية للهوية والحضارة وفي نفس الوقت تأتي قيم العقيدة منفصلة عن قيم الهوية؟

عن أي هوية يتحدثون وأي قيم يقصدون؟

ومن أين لهم بهذا التقسيم ومن أقرهم عليه من علماء التربية بما فيهم غير المسلمين؟

فالدكتور عبد اللطيف محمد خليفة يعرف القيم بأنها:(عبارة عن الأحكام التي يصدرها الفرد بالتفضيل أو عدم التفضيل للموضوعات والأشياء، وذلك في ضوء تقييمه لها، وتتم هذه العملية من خلال التفاعل بين الفرد بمعارفه وخبراته وبين ممثلي الإطار الحضاري الذي يعيش فيه ويكتسب من خلاله هذه الخبرات والمعارف).

أما *هولندر فيعرفها بأنها (حالة غائية يسعى الفرد إلى تحقيقها، وإنها تقف كموجه أو معيار يسلك الفرد على أساسه)، وحسب المعجم الفلسفي (المثل والمبادئ التي توجه سلوك الناس وتنظمه)[2]، وفي معجم علوم التربية.. (وتتكون القيم من مجموع معتقدات واختيارات وأفكار تمثل أسلوب تصرف الشخص ومواقفه وآراءه، وتحدد مدى ارتباطه بجماعته، وتشكل مجموع القيم المعتمدة النظرة إلى العالم)[3].

و يحيل المعجم التربوي على صنافة*كرات وول، (والتي تتضمن خمس مقولات كبرى هي: التقبل والاستجابة والتثمين والالتزام وتنظيم القيم والتميز بواسطة قيمة أو منظومة من القيم، ويعرف هذه الأخيرة:

- التميز بواسطة قيمة أو منظومة من القيم: للقيم موقع في سلم القيم لدى الفرد، فهي مرتبة في شكل منظومة منسجمة العناصر، منظومة تقوم بضبط سلوك الفرد وتأطيره لمدة طويلة لدرجة يصبح متآلفا ومتكيفا معها)[4].

أما فيما يخص الإطار المرجعي للقيم يورد الأستاذ *عبد الرحمان التومي قول الدكتور *عبد اللطيف محمد خليفة بعد قوله فخطاب الله سبحانه وتعالى هو (الفيصل في الحكم على الحسن والقبيح، والمباح والمحرم، والحسن ما وافق الشرع واستوجب الثواب، والقبيح ما خالف الشرع.. فكل أعمال الدنيا مقومة حسب نتيجتها في الدنيا والآخرة)[5] ثم يستطرد الأستاذ قائلا...: (وبالتالي فالحديث عن أي قيمة من القيم التي توجه الإنسان المغربي المسلم ينبغي أن يندرج في إطار نسقي عام وشامل مرجعيته شريعتنا الإسلامية، ومن المنطقي كذلك أن تكون القيم الشرعية هي نفس القيم التي تؤصل العمل التربوي ببلادنا فلسفة، وممارسة، مؤسسيا وبيداغوجيا.

ومن هنا لا يمكن تصور قيمة معينة أو فهمها بمعزل عن أساسها السليم، فهناك رباط يربط الكل في سياق واحد وهذا السياق موحد يشمل الكل، وأصله واحد هو الحق سبحانه؛ فالحديث مثلا عن قيم حقوق الإنسان كقيم معزولة عن قيم العقيدة الإسلامية هو خطاب إيديولوجي ظرفي يكرس واقع تخلفنا وتبعيتنا المطلقة للغرب وإملاءات البنك الدولي)[6].

كما يعلق الأستاذ* عبد الرحمان التو مي قائلا: (حقوق الإنسان بالمعنى الإسلامي حقوق مسؤولة، تحكمها ضوابط أخلاقية مقننة، وملزمة، وهي تختلف عن حقوق الإنسان الغربية من حيث شكلها، ومن حيث القيم التي تتضمنها، فإذا كان الإسلام يحرم الزنا ، فإن هناك بلدانا غربية صارت فيها ممارسة الجنس بل حتى إنجاب أطفال خارج الزواج، شيئا مقبولا بدعوى حقوق الإنسان) [7].

أما*عبد الباقي داوود فيقول: (و إذا كان الواقع المعيش يفرض التعامل مع فلسفات تربوية متنوعة، و نظريات و مدارس علمية تصب كلها في المجال التربوي، فان الرجوع إلى منظومة القيم الإسلامية هو الضامن لنا من عدم الانزلاق في متاهات الأهواء والنحل التي تفقدنا هويتنا الإسلامية، وبتحكيم هذا الإطار المرجعي، يمكن الاستفادة مما هو علمي و مطابق لمقولات العقل، بغض النظر عن جنسيته، وتفادي ما هو شبه علمي)[8].

إذن فعلماء التربية و المهتمين لا يقبلون هذا التجزيء للقيم ويردون على ذلك عكس ما يحاول البعض إظهاره من أن الأمر محط إجماع.

الهوامش:

[1] :الكفايات تأليف محمد الدريج
[2] :المعجم الفلسفي تأليف جميل صليبا
[3] :معجم علوم التربية
[4] :نفس المرجع
[5] :عبد اللطيف محمد خليفة، ارتقاء القيم
[6] :الكفايات مقاربة نسقية
[7] :نفس المرجع
[8] :عبد الباقي داود ، المدرسة المغربية والمنتوج القيمي الأخلاقي سلسلة التكوين التربوي العدد 10

العدد 12 - 05 جمادى الثانية 1427 الموافق لـ 01 يوليوز 2006

حول إصلاح التعليم
وهل يُصلح ... ما أفسد الدهـر

محمد عابد

لا أحد يجادل في أن جسم التعليم في وطننا العزيز منخور متآكل، حيث أن الأوبئة توالت عليه للحد الذي أصبحنا نعجز عن تمثل الحلول القمينة برده إلى سابق مستواه، فهذا هو "جنون اللامبالاة"، وتلك "حمى الإملاءات" وهذه "انفلوانزا الإعتباطية"...

للمعترض أن يعترض ويقول: "هذا من قبيل العدمية والتشاؤم"، غير أن الملموس يصدع بالحقائق والوقائع البادية، ولنا في أصوات المتتبعين والعاملين أكثر من دليل على صحة أقوالنا.

من المعقول جدا، وفي ظل الأوضاع التعليمية المتردية أن تبرز محاولات ومحاولات تلتمس الحلول وتستشرف المقترحات. من هذه الحلول ما ظهر في السنتين السابقتين تحت مسمى "منتديات الإصلاح"، وهذه السنة عادت المنتديات لتحمل موضوع "الشراكة" ويكون شعارها "من أجل شراكة استراتيجية إنمائية مستدامة"

في تحليل لهذا الشعار نخرج بتساؤلات مشروعة وبسيطة نوردها كما يلي:

1- هل عدمت الوزارة وسائل الإصلاح.

2- هل استنفدت جميع الحلول والمخططات لتسعى وراء شراكة أو شراكات.

3- هل وقفت الوزارة الوصية والحكومة معها عند حدود مسؤوليتها بالشكل الذي يمكنها من رفع جودة التعليم كما كان شعار النسخة الثانية من المنتديات ؟

أسئلة وغيرها كثير تنم عن لامبالاة وضبابية في التعامل مع ملف يشكل عصب المجتمع ومركز تحولاته. فالوزارة وللأسف لا تعير هذا القطاع ما يلزم من العناية والجدية، اللهم ما كان من الدوريات والمنشورات والمذكرات ذات الفحوى السطحي البعيد عن عمق ما ينتظره المواطن من إصلاح.

أضف إلى ذلك سياسة الأذن الصماء التي ينهجها المسؤولون عن المنظومة كلما تعالت أصوات الباحثين والمهتمين والعاملين بضرورة التغيير. لكن وما إن يلوح في الأفق تقرير خارجي وتظهر معه ميزانية محترمة حتى تقوم الدنيا ولا تقعد، وتتجند الطاقات الخفية، وتسخر الوسائل المعلومة والمجهولة فينطلق العنان للشعارات المزلزلة، ثم بعد هدوء العاصفة تعود حليمة لعادتها القديمة ولتبقى دار لقمان على حالها. وحمدا لله هذا هو حال ومآل المنتديات.

إن أي إصلاح أو أي تغيير لا بد أن تتوفر فيه شروط نوجزها كما ترى:

1- الإصلاح ينشأ من الحاجيات الفعلية للقطاع.

2- الإصلاح يجب أن يلامس اللب، لا القشور حتى يكون أعمق.

3- الإصلاح الشمولي لمنظومة التعليم يمر عبر قناة العاملين به، العارفين بخباياه القريبين من حلوله.

4- الإصلاح ذو أبعاد آنية، متوسطة، وبعيدة المدى، ولهذا الغرض وجب التراجع وفورا عن مجموعة من القرارات، والابتعاد عن الحلول الترقيعية.

5- الإصلاح خير يجب أن يشمل جميع القطاعات، إن على المستوى الاجتماعي أو الاقتصادي، أو السوسيوثقافي. آنذاك يمكن أن نتكلم عن الإصلاح.

لئن كان الإصلاح في ظاهره مبادرة طيبة، فواقع الحال يفند هذا الطرح رغم ما يمكن أن تحمله المقترحات من معقولية لأن ذلك سيكون من باب الصدفة فقط.

أما بخصوص الشراكة والجودة، فهذه شعارات رنانة طنانة سرعان ما يذهب بريقها، لأن الشراكة يجب أن تبرم مع الطالب والتلميذ والأب، هؤلاء الشرائح فقدوا الثقة، وفي كل شيء. والجودة عباد الله لا بد لها من ثمن ولابد لها من سبل، إذ كيف نريد الوصول للجودة ومدارسنا وثانوياتنا، بل جامعتنا تتردى في جحيم العقم والضحالة؟

فيا أيها المنادون بالإصلاح، ويا زعماء الإصلاح، تصالحوا مع أنفسكم وأبنائكم وبني جلدتكم حتى تقيموا شراكات هادفة وتبلغوا الجودة الموعودة، وإلا سينطبق عليكم قول الشاعر:

ذهبت إلى العطار تبغي شبابها ...... وهل يصلح العطار ما أفسد الدهر.

رسالة مفتوحة إلى السيد عميد كلية الطب بمراكش

مر على افتتاح كلية الطب بمدينة مراكش ثمانية أعوام؛ (انطلقت أول سنة دراسية بربوعها في شتنبر 1999، ولا يزال طلبتها وأطرها محرومون من مسجد يؤدون فيه صلواتهم في جماعة، وقد تم تقديم طلبات شفوية متكررة بذلك للعميد الأول للكلية، كما قدمت بعد ذلك طلبات كتابية لخلفه الذي تولى منصب العمادة بتاريخ: 12 ماي 2005)

وفي هذا الصدد تقدمت (جمعية إداريي كلية الطب والصيدلة بمراكش) بطلبها الرسمي بتاريخ: 27 أكتوبر 2005.

كما تقدمت بطلبها (جمعية الأطباء الأساتذة بكلية الطب والصيدلة بمراكش) بتاريخ: 22 نونبر 2005.

وكتبت طلبها بذلك كل من (جمعية الأطباء الداخليين) و(جمعية الأطباء المقيمين)، بالإضافة إلى جمع من طلبة الكلية بتاريخ: 15 نونبر2005، وتم دفعه للسيد العميد بتاريخ: 27 نونبر من السنة نفسها.



وهذا كله بناء على ما لصلاة الجماعة من مكانة في ديننا الحنيف:

قال الله تعالى: "وَارْكَعُواْ مَعَ الرَّاكِعِينَ" البقرة 43.

وعَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "صَلَاةُ الْجَمَاعَةِ أَفْضَلُ مِنْ صَلَاةِ الْفَذِّ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً".

ومن هذا المنطلق، وتجاوبا مع ما تقدم؛ نتمنى أن يكون فتح مسجد الكلية، أول أعمال السنة الدراسية القادمة (2006-2007).

هذه ذكرى للسيد العميد، والذكرى تنفع المؤمنين.

العدد 12 - 05 جمادى الثانية 1427 الموافق لـ 01 يوليوز 2006

العدد 12 - 05 جمادى الثانية 1427 الموافق لـ 01 يوليوز 2006

قرآن وسنة

رشيد مومن الإدريسي

"من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه"

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه" صحيح الجامع.

منزلة الحديث

عن الباجي رحمه الله قال: "قال حمزة الكناني رحمه الله: هذا الحديث ثلث الإسلامس انظر تنوير الحوالك للسيوطي 804.

وحكى ابن الصلاح رحمه الله عن ابن أبي زيد القيرواني رحمه الله أنه قال: "جماع آداب الخير... تتفرع من أربعة أحاديث (ثم ذكر منها هذا الحديث)" انظر جامع العلوم والحكم 121.

معنى الحديث

-"من": تبعيضية كما يقول أهل العلم، أي: أن ترك ما لا يعني هو بعض ما يحصل به إحسان الإسلام.

- "حسن الإسلام": معنى إحسان الإسلام مما اختلف فيه أهل العلم:

فقالت طائفة هو: أن يأتي المرء بالواجبات وينتهي عن المحرمات.

وقال طائفة ثانية هو: أن يكون المرء على رتبة الإحسان في العبادة، مصداقا لقوله عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح لما سئل عن الإحسان: "أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك".

وقالت طائفة ثالثة: إحسان الإسلام يتفاوت وليس مرتبة واحدة.

- "تركه ما لا يعنيه": معنى "يعنيه" أنه تتعلق عنايته به ويكون مقصده ومطلوبه، والعناية شدة الاهتمام بالشيء، وليس المراد أنه يترك ما لا عناية له به بحكم الهوى وطلب النفس بل بحكم الشرع والإسلام ولهذا جعله من حسنه.

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: "...فإذا حسن إسلام المرء ترك ما لا يعنيه في الإسلام من الأقوال والأفعال فإن الإسلام الكامل الممدوح يدخل فيه ترك المحرمات... وإذا حسن الإسلام اقتضى ترك ما لا يعني كله من المحرمات أو المشتبهات والمكروهات وفضول المباحات التي لا يحتاج إليها، فإن هذا كله لا يعني المسلم إذا كمل إسلامه وبلغ درجة الإحسان" جامع العلوم والحكم 122.

قال عليه الصلاة والسلام: "إذا أحسن أحدكم إسلامه، كان له بكل حسنة يعملها عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف وإذا عمل بالسيئة كانت السيئة بمثلها" صحيح الجامع.

قال الناظم:

من حسن إسلام بمرء تركه
ما ليس يعنيه وسهل دركــه.

قيل للقمان الحكيم: ما حكمتك؟ قال: لا أسأل عما كفيت، ولا أتكلف ما لا يعنيني.

وقال معاوية رضي الله عنه لرجل: ما بقي من حلمك؟ قال: لا يعنيني ما لا يعنيني.

وقال الحسن: من علامة إعراض الله عن العبد: أن يجعل شغله فيما لا يعنيه.

وقال سهل: من تكلم فيما لا يعنيه حرم الصدق.

وقال معروف الكرخي: كلام العبد فيما لا يعنيه خذلان من الله عز وجل.

المساجد لله سبحانه فلا يجوز دعوة غيره معه

إذا كان سبحانه وتعالى هو الخالق الرازق الذي له الملك والأمر فإنه هو المستحق للعبادة وحده لا شريك له ولذلك فهو لا يرضى أن يشرك معه أحد في عبادته، مهما بلغ هذا الشخص من الطهارة والعلو والرفعة لا ملك مقرب ولا نبي مرسل وإذا كان الحال كذلك في حق من اصطفاهم الرب سبحانه فغيرهم من باب أولى لأن العبادة لا تصلح إلا لله تعالى، وصرفها لغيره ظلم عظيم.

قال الله تعالى: "وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً".

فقوله تعالى: "وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ" يعني: المواضع التي بنيت للصلاة والعبادة وذكر الله تعالى فأمر الله المؤمنين أن يخلصوا الدعاء لله وحده وهذا قول الجماهير من علماء التفسير.

قال عليه الصلاة والسلام في قصة الأعرابي الذي بال في المسجد: "إن هذا المسجد لا يصلح لشيء من ذلك إنما بُنِيَ لذكر الله تعالى والصلاة" أخرجه البخاري ومسلم.

وقيل: أراد بالمساجد بقاع الأرض كلها لأن الأرض كلها جعلت مسجدا.

قال عليه الصلاة والسلام: "وجُعلت لي الأرض مسجدا وطهورا" رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

وقيل: المساجد أعضاء السجود التي يسجد عليها الإنسان فهذه الأعضاء مخلوقة لله فلا تسجدوا عليها لغيره.

قال عليه الصلاة والسلام: "أمرت أن أسجد على سبع: الجبهة، والأنف، واليدين، والركبتين، والقدمين" أخرجه مسلم وغيره.

أما قوله: "فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا" على معنيين عند العلماء:

1- الدعاء: السؤال الذي هو أحد مفردات العبادة ليمنع غيره من باب أولى لأن الدعاء لب العبادة، فإذا منع صرفه لغير الله منع غيره من باب أولى فجاء التمثيل بالدعاء لا ليقصر عليه الحكم وإنما ليجعل مثالا ويمنع غيره من باب أولى.

2- وقيل أن قوله "فَلَا تَدْعُوا" أي لا تعبدوا وهو قول الجماهير من المفسرين لقوله صلى الله عليه وسلم: "الدعاء هو العبادة" صحيح، فجعل الدعاء بمعنى العبادة.

والمقصود نهي الله تبارك وتعالى أن يدعى ويعبد غيره معه، وأكد ذلك بقوله: "أَحَدًا" التي هي نكرة في سياق النهي، والقاعدة عند الأصوليين والعلماء أن النكرة إذا جاءت في سياق النهي تعم فيكون المعنى: لا تعبد غير الله مهما كان هذا الغير سواء أكان ملكا مقربا أم نبيا مرسلا أم جمادا أم حيوانا أم غير ذلك.

قال الناظم:

والله لا يرضى بأن يشرك في
عبادة معه بثان يقتفـــــي
لا ملك مقرب ولا نبـــــي
ولو يكون مرسلا قد اجتبـي
فالجزء من عبادة لما ســـواه
كفر مخالف لما فيه رضــــاه

حكم رد السلام في الصلاة

أجمع العلماء على بطلان صلاة من سُلِّم عليه في صلاته ورد السلام بالكلام. انظر المدونة 99/1، وبدائع الصنائع237/1، والمجموع 103/4، والمغني 4602.

وأما ردُّ السلام في الصلاة من المصلي بالإشارة أو رده لفظا بعد الفراغ من الصلاة، فالصحيح من قولي الفقهاء مشروعيته وهو قول الجمهور من المالكية عليهم رحمة الله وغيرهم. انظر المدونة 99/1 وقوانين الأحكام الشرعية 83، وانظر نسبة هذا القول إلى جمهور العلماء في الفتح لابن حجر رحمه الله 87/3 وشرح مسلم للنووي رحمه الله 27/5.

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: "خرج رسول اله صلى الله عليه وسلم إلى قباء يصلي فيه قال: فجاءته الأنصار فسلموا عليه وهو يصلي قال: فقلت لبلال: كيف رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرد عليهم حين كانوا يسلمون عليه وهو يصلي؟ قال: يقول: هكذا وبسط كفه وبسط جعفر بن عون (أحد رجال السند) كفه وجعل بطنه أسفل وجعل ظهره إلى فوق" صحيح سنن أبي داوود 174/1.

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال دخل النبي صلى الله عليه وسلم مسجد قباء ليصلي فيه فدخل عليه رجال يسلمون عليه فسألت صهيبا وكان معه: كيف كان النبي صلى الله عليه وسلم يصنع إذا سلم عليه؟ قال: كان يشير بيده"صحيح سنن ابن ماجة 167/1.

وفي رواية عن صهيب: "... إشارة بإصبعه" انظر صحيح سنن أبي داوود 174/1.

قال القاضي ابن العربي المالكي رحمه الله عن رد السلام بالإشارة في الصلاة: "...ففيها الآثار الصحيحة كفعل النبي صلى الله عليه وسلم في قباء وغيره" انظر عارضة الأحوذي 1622.

قال الشوكاني رحمه الله بعدما ذكر روايات هذا الباب: "...ولا اختلاف بينها فيجوز أن يكون أشار مرة بأصبعه ومرة بجميع يده ويحتمل أن يكون المراد باليد الإصبع حملا للمطلق على المقيد...، وفي حديث ابن مسعود عند البيهقي بلفظ: "فأومأ برأسه" وفي رواية له: "فقال برأسه" يعني: الرد، ويُجمع بيْن الروايات بأنه صلى الله عليه وسلم فعل هذا مرة وهذا مرة فيكون جميع ذلك جائزاس نيل الأوطار 378/2 بتصرف يسير.

ومما يشرع كذلك في هذا الباب -كما أسلفنا- رد السلام بعد الفراغ من الصلاة.

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه حين سَلَّم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي فلم يرد السلام فلما فرغ صلى الله عليه وسلم من صلاته قال: "إن الله يحدث من أمره ما يشاء وإن الله قد أحدث من أمره ألا تكلموا في الصلاة" فرد عليه السلام. صحيح سنن أبي داوود 174/1.

قال الخطابي رحمه الله: "رد السلام في الصلاة قولا ونطقا: محظور.

ورده بعد الخروج من الصلاة سنة، وقد رد النبي صلى الله عليه وسلم على ابن مسعود بعد الفراغ من صلاته السلام.

والإشارة حسنة وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أشار في الصلاة" معالم السنن 434/1.

العدد 12 - 05 جمادى الثانية 1427 الموافق لـ 01 يوليوز 2006

آية في كتاب الله

قال تعالى: "يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تَخْفِي الصُّدُور" غافر 19.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية : يخبر عز وجل عن علمه التام المحيط بجميع الأشياء؛ جليلها وحقيرها، صغيرها وكبيرها، دقيقها ولطيفها، ليحذر الناس علمه فيهم:

فيستحيوا من الله تعالى حق الحياء، ويتقوه حق تقواه، ويراقبوه مراقبة من يعلم أنه يراه .فإنه عز وجل يعلم العين الخائنة وإن أبدت أمانة ويعلم ما تنطوي عليه خبايا الصدور من الضمائر والسرائر.

وقال الضحاك"خَائِنَةَ الْأَعْيُن" هو الغمز وقول الرجل: رأيت ولم ير، أو لم أر وقد رأى.

وقال السُدِّي: "وَمَا تُخْفِي الصُّدُور" أي من الوسوسة.

وقيل: فيه تقديم وتأخير أي يعلم الأعين الخائنة.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: هو الرجل ينظر إلى المرأة فإذا نظر إليه أصحابه غض بصره، فإذا رأى منهم غفلة تدسس بالنظر، فإذا نظر إليه أصحابه غض بصره، وقد علم الله عز وجل منه أنه يود لو نظر إلى عورتها.

وقال مجاهد: هي مسارقة نظر الأعين إلى ما نهى الله عنه.

قال عبد الرحمن السعدي رحمه الله تعالى في تفسير الآية:

"يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ" وهو النظر الذي يخفيه العبد عن جليسه، ومقارنه، وهو نظر المسارقة.

"وَمَا تُخْفِي الصُّدُور" مما لم يبينه العبد لغيره، فالله تعالى يعلم ذلك الخفي، فغيره من الأمور الظاهرة من باب أولى وأحرى.

وعند هناد في الزهد (1428)، قال:

حدثنا جرير، عن منصور قال: قال ابن عباس في قوله تعالى (يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور)، قال: الرجل يكون في القوم، فتمر بهم المرأة، فَيُرِيَهُم أنه غضَّ بصره عنها، فإنْ رأى منهم غفلة نظر إليها ولحظ إليها، فإن خاف أنْ يفطنوا له، غض بصره، وقد اطَّلع الله من قلبه وَدَّ أنه نظر إلى عورتها.

التنبيه إلى مسالك استدلال الفقيه

الحلقة الأولى

سعيد البحراوي

"الفقه عماد الحق، ونظام الخلق، ووسيلة السعادة الأبدية، ولباب الرسالة المحمدية، من تحلى بلباسه فقد ساد، ومن بالغ في ضبط معالمه فقد شاد".

والفقيه من وسم برسمه وتزيى بزيه، واشتغل به تأصيلا وتفريعا، تقعيدا وتخريجا، خلافا ووفاقا.

سلك الفقيه في تقرير المسائل مسلكا وعرا، أجهد نفسه من أجل التحرير والتدقيق، والسبر والتقسيم، حتى يكون الحكم جليا لا لبس فيه، والعمل ميسرا لا تكلف فيه.

فهذا بيان مجمل مسلك الفقيه في الاستدلال حتى يكون المرء على بينة من مكانة وقدر من يوقع عن الله تعالى.

فيفرح بالمرشد الهادي "ويسلك سبيله ويقتحم طريقه فيبني على الرسم فيصنعه ويحتذي على المثال فيحكيه"، ويمنع الصائل العادي المهون من شأنه المتسلل لواذا، شأن أضرابه المستخْفين والمستترين بعضهم ببعض، المتطين صهوة : "الدين للجميع" ولا حجر على العقل والفكر.

قال ابن حزم: لا آفة على العلوم وأهلها أضر من الدخلاء فيها وهم من غير أهلها، فإنهم يجهلون ويظنون أنهم يعلمون، ويفسدون ويقدّرون أنهم يُصلحون.

وذكر مالك أنه دخل على ربيعة فوجده يبكي، فقال: ما يبكيك؟ أمصيبة دخلت عليك؟ وارتاع لبكائه، فقال: لا، لكن استُفْتي من لا علم له وظهر في الإسلام أمر عظيم.

المسلك الأول:

قال الشاطبي في الاعتصام:(164) والأحاديث الضعيفة الإسناد لا يغلب على الظن أن النبي صلى الله عليه وسلم قالها، فلا يمكن أن يسند إليها حكم.

فنظرُ الفقيه أولا يكون في ثبوت الدليل:

فإن كان قرآنا فلا ينظر إليه من جهة الثبوت إجماعا، فقد ثبت بالتواتر، ولكن في دلالته.

وإن كان حديثا، فالنظر في درجته، إما بمعرفة أسباب القبول والرد، وهذا علم قائم بذاته يوسم بعلم الحديث، له أصول، وأحكام، وقواعد، وأوضاع، واصطلاحات.

وإما الاكتفاء بمعرفة درجته من أهل الصنعة.

وهنا أمر دقيق حتى نعلم تجرد الفقيه من الهوى وحظوظ النفس، قال الحافظ ابن رجب في فتح الباري:(1/387)

"والمخالف يشغب بذكر الأحاديث التي رجع عنها رواتها ويقول هي صحيحة الأسانيد، وربما يقول: هي أصح إسنادا من الأحاديث المخالفة لها". اهـ

فقد يكون الحديث صحيحا ثابتا، ولكن لا يصلح للاحتجاج، لأنه منسوخ أو نحو ذلك.

وإن كان إجماعا، فالنظر في ثبوته، وعدم المخالف، ومرتبته، وكذا معرفة اصطلاح من ينقل الإجماع، فبعضهم لا يَعْتد بمخالفة الواحد أو الاثنين.وهذا يحتاج إلى تتبع وبحث.

فقد يدعى الإجماع ويكون النزاع معلوما، فتستحل أعراض وتسفك دماء، وهذا شأن أهل البدع والضلال خاصة، وهذا باب عظيم زل فيه أقوام.

فالإجماع لابد أن يستند إلى دليل "فما من حكم اجتمعت الأمة عليه إلا وقد دل عليه النص، فالإجماع دليل على نص موجود معلوم عند الأئمة ليس مما درس علمه".

فلا يجوز الاعتزاء إلى إجماع لا حقيقة له.

وإن كان قياسا، فالنظر في ثبوته وصحة شروطه من أصل وفرع وجامع وحكم مستفاد، وإلا رد ومنع، ومنه معارضته لنص الكتاب أو السنة.

قال ابن تيمية في المجموع:(20/505)

..وحيث علمنا أن النص جاء بخلاف قياس علمنا قطعا أنه قياس فاسد، بمعنى أن صورة النص امتازت عن تلك الصور التي ظن أنها مثلها بوصف أوجب تخصيص الشارع لها بذلك الحكم، فليس في الشريعة ما يخالف قياسا صحيحا، لكن فيها ما يخالف القياس الفاسد، وإن كان من الناس من لا يعلم فساده.

فالمقصود تحرير وتوثيق النص حتى لا يرتب عليه حكم، وهلم جرا من فروع متصلة غير منقطعة ليس وراءها طائل. فيشبه قول الله تعالى: "أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ" (التوبة)109:

روى البيهقي في سننه:(1/81) "أن ابن وهب قال: سمعت مالكا يسأل عن تخليل أصابع الرجلين في الوضوء فقال: ليس ذلك على الناس، قال: فتركته حتى خف الناس، فقلت له: يا أبا عبد الله سمعتك تفتي في مسألة تخليل أصابع الرجلين زعمت أن ليس ذلك على الناس وعندنا في ذلك سنة، فقال: وما هي؟ فقلت: ثنا الليث بن سعد وابن لهيعة وعمرو بن الحارث عن يزيد بن عمرو المعافري عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن المستورد بن شداد القرشي قال: رأيت رسول الله يدلك بخنصره ما بين أصابع رجليه. فقال: إن هذا حديث حسن وما سمعت به قط إلا الساعة، ثم سمعته يُسأل بعد ذلك فأمر بتخليل الأصابع"اهـ.

فإن أيس الفقيه من ثبوت النص سار إلى الاستنباط.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في المسودة في أصول الفقه (370): لا يجوز الحكم بالقياس قبل الطلب التام للنصوص، إلا إذا أيس من الظفر بنصٍ، بحيث يغلب على ظنه عدمه، فهنا يجوز بلا تردد.اهـ

"فالاستدلال بكلام الشارع يتوقف على أن يعرف ثبوت اللفظ عنه، وعلى أن يعرف مراده باللفظ" والله أجل وأعلم.

فضل تعلم القرآن

عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في الصفة فقال: أيكم يحب أن يغدو كل يوم إلى بطحان أو إلى العقيق، فيأتي منه بناقتين كوماوين في غير إثم ولا قطيعة رحم؟ فقلنا: يا رسول الله كلنا نحب ذلك. قال: أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيتعلم، أو فيقرأ آيتين من كتاب الله عز وجل خير له من ناقتين، وثلاث، وأربع، خير له من أربع، ومن أعدادهن من الإبل. رواه مسلم.

بطحان، والعقيق أسماء لأماكن حول المدينة، ومعنى كوماوين: أي عظيمتين سمينتين، وهكذا فالقرآن خير كله، قراءته عبادة وتعلمه عبادة، والعمل به عبادة، والاستماع إليه عبادة.

كان أهل الصفة من أفقر أهل المدينة وكانوا يسكنون في المسجد، فالمثال الذي ضربه رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم بمقارنة تعلم آية من كتاب الله مع اكتساب ناقة وهي يومئذ شيء كثير.

هذا المثال حث على تعلم القرآن وفضله على العمل الدنيوي البحت بدرجات كثيرة .

أما اكتساب الرزق الحلال لكي يتقي المرء سؤال الناس والحاجة إليهم بما يكفيه ويكفي من يعيلهم من أفراد أسرته فهو فرض أيضا.

إن تعلم أسس الإسلام وفرائضه التي لا بد منها لكل مسلم مقدم على السعي في طلب العلم الذي هو من تكميليات الشريعة كالنحو والبلاغة مثلا .

أما إذا كان للمرء سعة في وقته بحيث يستطيع أن يتعلم دون أن يؤثر ذلك على اكتسابه للرزق فلا جدال في أفضلية طلب العلم والله يرفع الذين أوتوا العلم درجات .

العدد 12 - 05 جمادى الثانية 1427 الموافق لـ 01 يوليوز 2006

الحـروب الصليبيــة

-الحلقة الثالثة- (تتمة)

إعداد
إبراهيم الوزاني

قرر (رايموند دي سال ـ جيل) محاصرة معرة النعمان ـ في سوريا ـ كان الحصار طويلاً صعباً لكن الصليبيين أفلحوا في الاستيلاء على المدينة وذبحوا سكانها.. وفي هذا يقول ابن الأثير: "خلال ثلاثة أيام أعملت الفرنجة السيف في المسلمين قاتلين أكثر من مائة ألف شخص وآسرين عدداً أكبر من الأسرى..".

وكتب المؤرخ (راوول دين كاين): "عمل جماعتنا على سلق الوثنيين ـ يقصد المسلمين ـ البالغين في الطناجر، وثبتوا الأطفال على الأسياخ والتهموها مشوية..". وكتب المؤرخ (البيرديكس): "لم تتورع جماعتنا عن أن تأكل الأتراك والمسلمين فحسب وإنما الكلاب أيضاً..".

وقد كت (أمين معلوف) تعليقاً على تلك الشهادات: "لن ينسى الأتراك مطلقاً أكل الغربيين للحم الإنسان، وعبر كل أدبهم الملحمي سيكون الفرنجة موصوفين دائماً كأكلة لحوم البشر، وسوف يساهم مشهد معرة النعمان بحفر هوة بين العرب والفرنجة لا تكفي قرون عديدة لردمها...".

ويصف ابن الأثير في الكامل الاستيلاء على القدس قائلا: "ولبث الفرنج في البلدة أسبوعا يقتلون فيه المسلمين، وقتل الفرنج في المسجد الأقصى ما يزيد على السبعين ألفاً منهم جماعة كثيرة من أئمة المسلمين وعلمائهم وعبادهم وزهادهم ممن فارق الأوطان وجاور ذلك الموضع الشريف، ثم بدأ النهب والسلب..".

الحملة الصليبية الثانية

لم يَصْفُ العيش للصليبيين في ديار الإسلام إذ كانوا يتعرضون للغارات باستمرار ولهجوم المسلمين بشكل دائم، وعندما نقضوا عهدهم مع العبيديين[1] أصبح الهجوم يأتيهم من قبل العبيديين من الجنوب ومن قبل السلاجقة[2] من الشمال.

وجه العبيديون حملة كبيرة بقيادة حاكم بيروت السابق عام 494هـ/1100م انطلاقاً من عسقلان نحو بيت المقدس ويافا غير أنها فشلت.

وجهز العبيديون حملة أخرى عام 495هـ/1101م واتجهت إلى اللد والرملة فخرج للقائها ملك بيت المقدس الصليبي (بلدوين) فانهزم وفرّ إلى الرملة ولاحقه المسلمون ففرّ من الرملة واستعادها المسلمون، ثم حاصروه في يافا فجاءته نجدات بحرية فهاجم المسلمين فانتصر عليهم.

ثم أرسل العبيديون حملتين: إحداهما برية والأخرى بحرية واستنجد (بلدوين) بأمير الرها وأمير أنطاكية فأنجداه وانتصر.

وجهز العبيديون جيشاً كبيراً ودعموه بأسطول بحري، وطلبوا دعم السلاجقة فأجابوهم، وجرت أول معركة عام 498هـ/1104م ظهر فيها التعاون بين السلاجقة والعُبيديين، ولم تكن نتائجها واضحة.

واستمرت غارات العبيديين على البلدان التي سيطر عليها الصليبيون، فقد أغاروا على يافا عام 499هـ/1105م، وفي العام التالي على الخليل، وفي العام الذي يليه وصلوا إلى أسوار بيت المقدس، وفي عام 518هـ/1124م أغاروا على يافا، وأغاروا على بيت المقدس.

وأما من جهة الشمال فقد قضى السلاجقة عام 494هـ/1100م على حملة صليبية جاءت من غربي أوروبا لدعم الوجود الصليبي في بيت المقدس.

ونصب الأمير "كمَشْتكين" كميناً لأمير أنطاكية الصليبي وأخذه أسيراً عام 494، واستطاع في العام التالي أن يستعيد ملاطية من الصليبيين وأن يأخذ أميرها أسيراً.

وفي عام 497هـ/1103م سار أتابك الموصل "جكرمش" والأمير "سقمان بن أرتق" صاحب ماردين لقتال الصليبيين في الرها، وتمكنا من إبادة الجيش الصليبي، ووقع (بلدوين) و(جوسلين) في الأسر.

وفي عام 499هـ أغار أمير دمشق "طغتكين" على بلاد الجليل، وأغار أمير الموصل مودود عام 505هـ/1111م على الصليبيين، وفي العام التالي سار إلى جهات طبريا ومدينتها.

وفي عام 514هـ/1120م هاجم النصارى "الكرج" ومن معهم من "القفجاق" ـ وهم من الكفار ـ ديار المسلمين وأحرزوا نصراً على المسلمين.

وفي عام 518هـ/1124م هاجم الصليبيون مدينة صور وكانت للعبيديين، وسار (بلدوين الثاني) أمير الصليبيين في بيت المقدس إلى الشمال لفك أسر (بلدوين) و(جوسلين) فأسرع إليه (بلك الأرتقي)، فهزم جيشه وأخذه أسيراً أيضاً وضمه إلى بقية الأمراء الأسرى عنده.

وفي عام 523هـ/1128م حاصر الصليبيون دمشق ولكن فشلوا في اقتحامها.

وفي عام 527هـ/1132م جاءت أعداد كبيرة من التركمان من الجزيرة، واتجهوا نحو طرابلس فقاتلوا الصليبيين فيها ... إلخ.

وهكذا كان الهجوم على الصليبيين من الجنوب والشمال، ثم امتد على إمارة طرابلس في الغرب، فكانت هذه الهجمات تقض مضاجعهم وتقلقهم باستمرار. ثم بدأت تظهر دولة عماد الدين زنكي وتتوسع على امتداد الإمارات الصليبية.

لقد بدأ "عماد الدين زنكي" في عام 529هـ/1134م يوجه هجماته على مراكز الصليبيين الواقعة شرق نهر العاصي ليكون الفتح تدريجياً، فاستولى على الأثارب وزردنا وتل أغدى ومعرة النعمان وكفْر طاب وأغار على قنسرين وشيزر وحمص.

وأغار نائب "زنكي" على الصليبيين عام 530هـ/1135م فوصل إلى اللاذقية، وفي سنة 531هـ/1136م أغار المسلمون على إمارة طرابلس فقتلوا أميرها وأسروا عدداً كبيراً من أتباعه.

واستطاع عماد الدين زنكي أن يفشل خطة (حنا كوين) إمبراطور البيزنطيين في الاستيلاء على حلب، وامتاز "زنكي" عن غيره من أمراء المسلمين أنه جعل المعركة جهاداً في سبيل الله قبل كل شيء، وجعل توحيد المسلمين وصفوفهم خطوة ضرورية قبل خوض أي معركة ضد الصليبيين.

واستطاع "زنكي" عام 539هـ/1144م أن يحاصر الرها وأن يستعيدها من الصليبيين، كما استولى على سروج.

أما الحملة الصليبية الثانية فقد شجعها على الانطلاق فتح زعماد الدينس لإمارة الرها عام 539هـ، وعندما انطلقت هذه الحملة عام 542هـ/1147م كان "عماد الدين" قد توفي.

اتجهت الحملة إلى بلاد الشام عن طريق البحر للخلاف الذي كان قائماً بين إمبراطور "القسطنطينية" وبين الصليبيين، وكان على رأس الحملة ملك ألمانيا (كونراد الثالث) وملك فرنسا (لويس السابع)، واتجهت الحملة نحو دمشق، وكان أميرها مجير الدين يخشى من سيطرة "آل زنكي" على مدينته ويعتمد على الدعم الصليبي فيما إذا اتجه "آل زنكي" نحوه.

لما قتل "عماد الدين زنكي" حمل الراية الجهادية ابنه نور الدين محمود الذي حاصر الصليبيين في الرها ـ استطاعوا الاستيلاء عليها بعد موت عماد الدين ـ وهزمهم هزيمة منكرة، وقتل (بلدوين) وأصيب (جوسلين) إصابة بليغة، واستعاد منهم الرها.

وواصل نور الدين جهاده فاستطاع في عام 542هـ/1147م أن يستولي على عدد من القلاع مثل: "بسرفوت" و"أرتاح" و"الأثارب" و"كفر لاتا" وغيرها.

وفي عام 544هـ/1149م دخل نور الدين محمود حصن "أفاميا"، وسار نحو "أنطاكية" وحاصر في طريقه مدينة حارم، وصالحه أهلها على نصف أرزاقهم، غير أنه هزم عام 546هـ/1151م عندما سار لقتال (جوسلين) أمير الرها، ثم تمكن من أسره فيما بعد، وظل في أسره تسع سنوات، واستطاع أن يأخذ عزاز وعينتاب ومرعش.

وباختصار فإن إمارتي الرها وأنطاكية الصليبيتين أصبح معظمهما في أيدي المسلمين.

وفي عام 546 استطاع مسعود (سلطان سلجوقي) الاستيلاء على عينتاب ودلوك، واستولى نور الدين على الراوندان ثم على تل باشر.

لقد كان اتجاه الحملة الصليبية نحو دمشق سببا مهما جعل أمير دمشق يستنجد بـ "نور الدين زنكي" ضدهم، وهذا ما هيأ لنور الدين احتلال دمشق عام 549هـ/1154م.

واضطر ملك ألمانيا إلى التراجع بمن بقي من فلول جيشه المُمزَّق، حتى وصل إلى "نيقية" بعد أن كبده السلاجقة خسائر فادحة. كما تبعه ملك فرنسا بعد فشل حصار دمشق.

ورجع الصليبيون ـ بعد أربعة أيام من حصار دمشق يجرون أذيال الهزيمة والفشل، بعد أن عجزوا عن تحقيق أي هدف من وراء تلك الحملة التي حشدت لها أوروبا رجالها وإمكاناتها، فلم تجنِ من ورائها إلا المزيد من الهزائم والمزيد من القتلى والدماء، وضاعت هيبة الصليبيين في الشام، وانحطت مكانتهم وضعف سلطانهم.

ثم سار نور الدين إلى بعلبك ودخلها عام 550هـ/1155، ويعتبر هذا العام عام الوحدة وتجمع القوى الإسلامية ، كما أخذ "شيزر" عام 552هـ/1157م.

التاريخ الإسلامي لمحمود شاكر 2696 ، والغزو الصليبي والعالم الإسلامي لعلي عبدالحليم محمود 89

[1]العبيديون: تنسب الدولة العبيدية إلى مؤسسها (عبيد الله بن ميمون القداح اليهودي) الذي ادّعى الانتساب إلى إسماعيل بن جعفر الصادق من البيت الحسيني، ولقد استطاع عبيد الله أن يؤسس الدولة العبيدية في مكان ما من تونس، سماها (المهدية) في سنة 297هـ، وخلفه القائم ثم المنصور فالمعز - الذي انتقل إلى مصر سنة 362هـ.

وهم رافضة من أصحاب المذهب الإسماعيلي الباطني، والباطنية هم الذين حرفوا الدين، ونقضوا قواعده، ولما عجزوا عن تحريف القرآن لجأوا إلى تحريف المعني، فأوحى لهم الشيطان بفكرة غاية في الخبث واللؤم، تلك أنّ لكل نص ظاهرا وباطنا، فسرح خيالهم اللئيم في أوحال هذا الباطن، حتى ركزوا فيه كل الوثنيات، والخزعبلات، والإلحاديات، نقضوا كل العبادات، والفرائض، والأحكام مثال ذلك:

الحلال عندهم: هو الواجب إظهاره من عقائدهم.

والحرام: هو الواجب ستره وكتمانه.

ومن ضلالات العبيديين أمرهم بنقش سبِّ الصحابة على جدران المساجد وفي الأسواق والشوارع والدروب، وكان أبرز وأضلّ حكامهم الحاكم بأمر الله الذي ادّعى الألوهية، ودعا إلى القول بتناسخ الأرواح.

قال عنه ابن الجوزي: زثم ازداد ظلم الحاكم حتى عنَّ له أن يدَّعي الربوبية، فصار قوم من الجهال إذا رأوه يقولون: يا واحد.. يا أحد.. يا محيي.. يا مميت قبحهم الله جميعا".

قال عنهم ابن كثير: (ظهرت في دولتهم البدع والمنكرات وكثر أهل الفساد، وقلَّ عندهم الصالحون من العلماء والعباد).

وقال الذهبي: "وكان القائم بن المهدي شرّاً من أبيه، زنديقا ملعوناً، وكان العبيديون على ملة الإسلام شرّاً من التتر".

[2]السلاجقة: نسبة إلى سلجوق بن تقتاق هو الجد الأكبر للبيت السلجوقي. وكان له ولدان هما: أرسلان وميكائيل، ومن أولاد الأخير جاءت سلاطين السلاجقة، حكموا بغداد مع الخليفة العباسي، وكان أولهم طُغْرل بك بن ميكائيل بن سلجوق. وهناك فرع من البيت السلجوقي جاهد البيزنطيين وأسس دولة في آسيا الصغرى، وكانت عاصمتهم قونية، وكانوا يسمون بسلاجقة الروم، تمييزاً لهم عن سلاجقة العراق والشام، ومن سلاجقة الشام عماد الدين زنكي وابنه نور الدين، حكموا من سنة 470هـ إلى 707 هـ.

البهائيـــة
أخطر الفرق الباطنية على المسلمين

البهائية حركة نبعت من المذهب الشيعي الشيخي سنة (1260هـ/1844م) تحت رعاية الاستعمار الروسي واليهودية العالمية والاستعمار الإنجليزي بهدف إفساد العقيدة الإسلامية وتفكيك وحدة المسلمين وصرفهم عن قضاياهم الأساسية.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

أسسها الميرزا علي محمد رضا الشيرازي ويلقب بـ: "الباب" (1235-1266هـ/1819-1850م)، ففي السادسة من عمره تلقى تعليمه الأولي على يد دعاة الشيخية من الشيعة ثم انقطع عن الدراسة ومارس التجارة، وفي السابعة عشر من عمره عاد للدراسة واشتغل بدراسة كتب الصوفية والرياضة الروحانية وخاصة كتب الحروفيين وممارسة الأعمال الباطنية المتعبة.

في عام 1259هـ/1843م ذهب إلى بغداد وبدأ يرتاد مجلس إمام الشيخية كاظم الرشتي ويدرس أفكاره وآراء الشيخية، وفي مجالس الرشتي تعرف عليه الجاسوس الروسي كينازد الغوركي والمدعي الإسلام باسم عيسى النكراني والذي بدأ يلقي في روعهم أن الميرزا علي محمد الشيرازي هو المهدي المنتظر والباب الموصل إلى الحقيقة الإلهية والذي سيظهر بعد وفاة الرشتي وذلك لما وجده مؤهلا لتحقيق خطته في تمزيق وحدة المسلمين.

وفي ليلة الخميس 5 جمادى الأولى 1260هـ - 23 مارس 1844م أعلن أنه الباب نسبة إلى ما يعتقده الشيعة الشيخية من ظهوره بعد وفاة الرشتي المتوفى 1259هـ، وأنه رسول كموسى وعيسى ومحمد عليهم السلام - بل وعياذاً بالله - أفضل منهم شأناً، فآمن به تلاميذ الرشتي وانخدع به العامة واختار ثمانية عشرة مبشراً لدعوته أطلق عليهم حروف الحي إلا أنه في عام 1261هـ/1845م قبض عليه فأعلن توبته على منبر مسجد الوكيل بعد أن عاث وأتباعه في الأرض فساداً وتقتيلا وتكفيراً للمسلمين.

وفي عام 1266هـ ادعى الباب حلول الإلهية في شخصه حلولاً مادياً وجسمانياً، لكن بعد أن ناقشه العلماء حاول التظاهر بالتوبة والرجوع، ولم يصدقوه فقد عرف بالجبن والتنصل عند المواجهة.

وحكم عليه بالإعدام هو والزنوزي وكاتب وحيه حسين اليزدي الذي تاب وتبرأ من البابية قبل الإعدام فأفرج عنه وذلك في 27 شعبان سنة 1266هـ/ 8 يوليو 1850.

- قرة العين واسمها الحقيقي أم سلمى ولدت في قزوين ما بين سنة 1231-1235هـ للملا محمد صالح القزويني أحد علماء الشيعة ودرست عليه العلوم ومالت إلى الشيخية بواسطة عمها الأصغر الملا علي الشيخي وتأثرت بأفكارهم ومعتقداتهم، ثم رافقت الباب في الدراسة عند كاظم الرشتي بكربلاء حتى قيل إنها مهندسة أفكاره إذ كانت خطيبة مؤثرة، أديبة فصيحة اللسان فضلا عن أنها جميلة جذابة، إلا أنها إباحية فاجرة طلقها زوجها وتبرأ من أولادها، كانت تلقب بـ "زرين تاج" -صاحبة الشعر الذهبي- بالفارسية، واجتمعت في رجب 1264هـ مع زعماء البابية في مؤتمر بيدشت وكانت خطيبة القوم ومحرضة الأتباع على الخروج في مظاهرات احتجاج على اعتقال الباب، وفيه أعلنت نسخ الشريعة الإسلامية، واشتركت في مؤامرة قتل الشاه ناصر الدين القاجاري فقبض عليها وحكم بأن تحرق حية ولكن الجلاد خنقها قبل أن تحرق في أول ذي القعدة 1268هـ الموافق 1852م.

- الميرزا يحي علي: أخو البهاء والملقب بصبح أزل، أوصى له الباب بخلافته وسمي أصحابه بالأزليين فنازعه أخوه الميرزا حسين البهاء في الخلافة ثم في الرسالة والإلهية وحاول كل منهما دس السم لأخيه، ولشدة الخلافات بينهم وبين الشيعة تم نفيهم إلى أدرنة بتركيا في عام 1863م حيث كان يعيش اليهود، ولاستمرار الخلافات بين أتباع صبح أزل وأتباع البهاء نفى السلطان العثماني البهاء وأتباعه مع بعض أتباع أخيه إلى عكا ونفى صبح أزل مع أتباعه إلى قبرص حتى مات ودفن بها في 29 إبريل 1912م صباحاً عن عمر يناهز 82 عاما مخلفاً كتاباً أسماه الألواح - تكملة البيان بالفارسي - والمستيقظ ناسخ البيان وأوصى بالخلافة لابنه الذي تنصر وانفض من حوله الأتباع.

- الميرزا حسين علي الملقب بهاء الله نازع أخاه خلافة الباب، وحاول قتل أخيه صبح أزل، وكان على علاقة باليهود في أدرنة بسالونيك في تركيا والتي يطلق عليها البهائيون أرض السر التي أرسل منها إلى عكا فقتل من أتباع أخيه صبح أزل الكثير. وفي عام1892م قتله بعض الأزليين ودفن بالبهجة بعكا وله كتاب الأقدس الذي نسخ به البيان والإيقان وكانت كتبه تدعو للتجمع الصهيوني على أرض فلسطين.

- عباس أفندي: الملقب بـ عبد البهاء ولد في 23 مايو 1844م نفس يوم إعلان دعوة الباب، أوصى له والده البهاء بخلافته فكان ذا شخصية جادة لدرجة أن معظم المؤرخين يقولون بأنه: لولا العباس لما قامت للبابية والبهائية قائمة، ويعتقد البهائيون أنه معصوم غير مشرع، وكان يضفي على والده صفة الربوبية القادرة على الخلق.

زار سويسرا وحضر مؤتمرات الصهيونية ومنها مؤتمر بال 1911م وحاول تكوين طابور خامس وسط العرب لتأييد الصهيونية، كما استقبل الجنرال "ألنبي" لما أتى إلى فلسطين بالترحاب لدرجة أن كرمته بريطانيا بمنحه لقب "سير" فضلا عن أرفع الأوسمة الأخرى.

زار لندن وأمريكا وألمانيا والمجر والنمسا والإسكندرية للخروج بالدعوة من حيز الكيان الإسلامي فأسس في شيكاغو أكبر محفل للبهائية، رحل إلى حيفا 1913م ثم إلى القاهرة حيث هلك بها في 1921م/ 1340هـ بعد أن نسخ بعض تعاليم أبيه وأضاف إليها من العهد القديم ما يؤيد أقواله.

- شوقي أفندي: خلف جده عبد البهاء وهو ابن الرابعة والعشرين من العمر في عام 1921م/1340هـ وسار على نهجه في إعداد الجماعات البهائية في العالم لانتخاب بيت العدالة الدولي، ومات بلندن بأزمة قلبية ودفن بها في أرض قدمتها الحكومة البريطانية هدية للطائفة البهائية.

- في عام 1963م تولى تسعة من البهائيين شؤون البهائية بتأسيس بيت العدالة الدولي من تسعة أعضاء أربعة من أمريكا، واثنان من إنجلترا وثلاثة من إيران وذلك برئاسة فرناندو سانت ثم تولى رئاستها من بعده اليهودي الصهيوني ميسون الأمريكي الجنسية.

الأفكار والمعتقدات:

- يعتقد البهائيون أن الباب هو الذي خلق كل شيء بكلمته وهو المبدأ الذي ظهرت عنه جميع الأشياء.

- يقولون بالحلول والاتحاد والتناسخ وخلود الكائنات وأن الثواب والعقاب إنما يكونان للأرواح فقط على وجه يشبه الخيال.

- يقدسون العدد 19 ويجعلون عدد الشهور 19 شهراً وعدد الأيام 19 يوماً، وقد تابعهم في هذا الهراء المدعو محمد رشاد خليفة حين ادعى قدسية خاصة للرقم 19، وحاول إثبات أن القرآن الكريم قائم في نظمه من حيث عدد الكلمات والحروف على 19 ولكن كلامه ساقط بكل المقاييس.

- يقولون بنبوة بوذا وكنفوشيوس وبراهما وزاردشت وأمثالهم من حكماء الهند والصين والفرس الأول.

- يوافقون اليهود والنصارى في القول بصلب المسيح.

- يؤولون القرآن تأويلات باطنية ليتوافق مع مذهبهم.

- ينكرون معجزات الأنبياء وحقيقة الملائكة والجن كما ينكرون الجنة والنار.

- يحرمون الحجاب على المرأة ويحللون المتعة وشيوعية النساء والأموال.

- يقولون إن دينهم ناسخ لشريعة محمد صلى الله عليه وسلم.

- يؤولون القيامة بظهور البهاء، أما قبلتهم فهي إلى البهجة بعكا بفلسطين بدلاً من المسجد الحرام.

- والصلاة تؤدى في تسع ركعات ثلاث مرات والوضوء بماء الورد وإن لم يوجد فالبسملة بسم الله الأطهر الأطهر خمس مرات.

- لا توجد صلاة الجماعة إلا في الصلاة على الميت وهي ست تكبيرات يقول كل تكبيرة (الله أبهى).

- الصيام عندهم في الشهر التاسع عشر شهر العلا فيجب فيه الامتناع عن تناول الطعام من الشروق إلى الغروب مدة تسعة عشر يوما (شهر بهائي) ويكون آخرها عيد النيروز 21 مارس وذلك من سن 11 إلى 42 فقط يعفى البهائيون من الصيام.

- تحريم الجهاد وحمل السلاح وإشهاره ضد الأعداء خدمة للمصالح الاستعمارية.

- ينكرون أن محمداً، خاتم النبيين مدعين استمرار الوحي وقد وضعوا كتبا معارضة للقرآن الكريم مليئة بالأخطاء اللغوية والركاكة في الأسلوب.

- يبطلون الحج إلى مكة وحجهم حيث دفن بهاء الله في البهجة بعكا بفلسطين.

الجذور الفكرية والعقائدية

- الرافضة الإمامية.
- الشيخية أتباع الشيخ أحمد الإحسائي.
- الماسونية العالمية.
- الصهيونية العالمية.

الانتشار ومواقع النفوذ:

تقطن الغالبية العظمى من البهائيين في إيران وقليل منهم في العراق وسوريا ولبنان وفلسطين المحتلة حيث مقرهم الرئيسي وكذلك لهم وجود في مصر حيث أغلقت محافلهم بقرار جمهوري رقم 263 لسنة 1960م، وكما أن لهم عدة محافل مركزية في أفريقيا بأديس أبابا وفي الحبشة وكمبالا بأوغندا ولوساكا بزامبيا، وجوهانسبرج بجنوب أفريقيا وكذلك المحفل الملي بكراتشي بباكستان. ولهم أيضاً حضور في الدول الغربية فلهم في لندن وفينا وفرانكفورت محافل وكذلك بسيدني في أستراليا ويوجد في شيكاغو بالولايات المتحدة أكبر معبد لهم وهو ما يطلق عليه مشرق الأذكار ومنه تصدر مجلة نجم الغرب وكذلك في ويلمنت النويز (المركز الأمريكي للعقيدة البهائية) وفي نيويورك لهم قافلة الشرق والغرب وهي حركة شبابية قامت على المبادئ البهائية ولهم كتاب دليل القافلة وأصدقاء العلم، ولهم تجمعات كبيرة في هيوستن ولوس أنجلوس وبيركلين بنيويورك حيث يقدر عدد البهائيين بالولايات المتحدة حوالي مليوني بهائي ينتسبون إلى 600 جمعية، ومن العجيب أن لهذه الطائفة ممثل في الأمم المتحدة في نيويورك زفيكتور دي أرخوس ولهم ممثل في مقر الأمم المتحدة بجنيف ونيروبي وممثل خاص لأفريقيا، وكذلك عضو استشاري في المجلس الاجتماعي والاقتصادي للأمم المتحدة أيكوسكو Ecosco وكذلك في برنامج البيئة للأمم المتحدة Unep وفي اليونيسيف Unicef وكذلك بمكتب الأمم المتحدة للمعلومات U. N. office of public information، ودزي بوس ممثل الجماعات البهائية الدولية لحقوق الإنسان في الأمم المتحدة ورستم خيروف الذي ينتمي إلى المؤسسة الدولية لبقاء الإنسانية.

ويتضح مما سبق:

أن البابية والبهائية من الفئات الضالة الخارجة عن الإسلام بحكم إنكارهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، هو خاتم الأنبياء والمرسلين وادعائهم بأن روح الله عز وجل حلت في الباب أو البهاء وإنكارهم للعقوبات الإلهية وموالاتهم المستمرة لليهود وسعيهم الدائب لتهويد المسلمين، وإعلامهم أن كتابهم البيان قد نسخ القرآن الكريم.

العدد 12 - 05 جمادى الثانية 1427 الموافق لـ 01 يوليوز 2006

العدد 12 - 05 جمادى الثانية 1427 الموافق لـ 01 يوليوز 2006

واحة الأدب

القصيدة العصماء في نصرة سيد الأنبياء

عبد الرحيم المراكشي

انطلاق أشغال "ملتقى الأدب الإسلامي الأردني في المغرب"

يواجه الأدب الإسلامي حرباً شعواء يشنها عليه العلمانيون والحداثيون والجاهلون بحقيقته ورسالته، وهذا في إطار محاولاتهم لإلغاء المرجعية الإسلامية عن جميع "العلوم الإنسانية"، ومنها الأدب، ذلك النشاط المؤثر والفعّال في حياة الأمة.

انطلقت يوم الثلاثاء 20 يونيو2006 بالرباط أشغال "ملتقى الأدب الإسلامي الأردني في المغرب" تحت شعار "نحو رؤية أدبية حضارية" بمشاركة مفكرين ومبدعين من المغرب والأردن.

ويروم هذا الملتقى الذي ينظمه المكتبين الإقليمين لرابطة الأدب الإسلامي العالمية بكل من المغرب والأردن، الإسهام في تدعيم العلاقات الثقافية والأدبية بين المملكتين، وترسيخ الأدب الإسلامي "القائم على الأخلاق أولا وعلى أدب النفس قبل أدب الدرس ثانيا".

أوضح عبد القدوس أبو صالح رئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية، أن الأدب الإسلامي كمذهب أدبي ونظرية متكاملة يمثل في مفهومه ومميزاته طوق نجاة أمام فوضى المذاهب الفكرية والأدبية وكثرتها وماديتها وعجزها، ويهدف إلى تعزيز قيم الخير والعدل والحرية والمساواة والنهي عن المنكر وبناء الإنسان الصالح ورد الهجمة الشرسة على الإسلام.

وشدد محمد الزرورة نائب عميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، في كلمة باسم كل من رئيس جامعة محمد الخامس أكدال وعميد كلية الآداب التابعة لها، على أن الجانب الأدبي كان دائما أحد المكونات الأساسية لحياة الإنسان المغربي، ويعكس بلغات تعبيرية متعددة واقعه وهمومه وكذا هموم العالمين العربي والإسلامي الذي هو جزء منهما.

وأشار "عودة أبو عودة" رئيس المكتب الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية بالأردن، إلى أنه منذ تأسيس هذه الرابطة سنة 1984 وهي تحرص على نشر الأدب الإسلامي والتعريف به وتوضيح رسالته، مضيفا أن "ملتقى الأدب الإسلامي الأردني في المغرب" يشكل محطة لإبراز احتفاء المملكتين بالثقافة والأدب والفكر وبشتى فنون المعرفة.

من جانبه، قال حسن الأمراني أمين رابطة الأدب الإسلامية العالمية ورئيس المكتب الإقليمي في المغرب إنه ليس أفضل وأجدى من الفكر والأدب ليعيد إلى البشرية رشدها، وتسترد به توازنها، مشيرا إلى أن هذا الملتقى يأتي تدعيما للعلاقات الثقافية والأدبية بين المملكتين وترسيخا لمبادئ الوسطية والاعتدال والحكمة والبعد عن الغلو والتطرف.

وقد تضمن برنامج هذا الملتقى عقد ندوة مركزية حول موضوع "الرؤية والتشكيل في الأدب الإسلام" وستتناول "الأدب الإسلامي: مسيرة وتاريخ" والأدب الإسلامي: قيم وأبعاد و"البيان القرآني والأدب الإسلام" و"أدب المديح النبوي بين الغرب الإسلامي وشرقه".

كما ناقشت هذه الندوة موضوعات تهم زأوليات النظرية اللسانية علمانية أو إسلامية" و"تجديد الرؤية الإسلامية في الأدب" وستجديد الرؤية الإسلامية في النقد" وسكتابة أدب الطفل من منظور إسلام" وسالشعر وأدب الأطفال في الأردن" إضافة إلى عدد من المحاور التي تناولت بالنقد والتحليل نماذج من الأدب الإسلامي.

وتم موازاة مع هذه الندوة، التي تواصلت أشغالها بمدينة وجدة يومي 26 و27 يونيو وتناولت مواضيع تهم قضايا الأدب الإسلامي وأدب الطفل والشعر الأردني، كما نظمت أمسيات شعرية ولقاءات مفتوحة مع أدباء أردنيين (يوم 23 يونيو بالدار البيضاء) وأنشطة مماثلة بكل من طنجة (يوم 24 يونيو)، فيما عرفت مدن وجدة وبركان والناظور وفاس تنظيم أنشطة موازية متنوعة.

القصيدة العصماء في نصرة سيد الأنبياء

خطت أنامل قلب دمع مضطرم ... بذي القصيدة مخزون من الألم
ميمية تصهر الأكباد تُشعلها ... يكاد سُمَّعها أن يأخذوا قلمي
ترى الأقوام بها صرعى كأنهمُ ... تساقوا كأس مُدامة من النَدم
رويت دمعي على غيظ تسابقه الـ ... أحزان والأسى يهتاج على حمَم
يا لائمي في الجوى إني لمغتبط ... إليك عني ولو أنصفت لم تلُم
قال فاكبح من جماح النفس مُرتسِلا ... إن النفوس لتردي كلّ منتقم
فقلت: الكفرُ أقل الشر معركة ... لأجل نور أتى للحل و الحرم
وا حزن قلباه إن الحِبَّ قد قذفوا ... فكيف لي بكظمٍ، لا غيرُ منهزم
فلا يقيم على ضيم يراد به ... إلَّا الأذلان من العير و الغنم
ذاكمُ أهل الصليب إن حربهمُ ... لأهل الإسلام يبقى غير منفصم
دنَمرك طلعتهم في الشر مقبلة ... أولئك أهل الحقد و أهل الشتم
قد تولى كبر ذاك النّذلُ منخسئا ... أبو لهبِ العصر ذاكم أخو الحُمَم
لكنهم يبتغون الصد عن رجل ... لهم عدو لما قد قال في الصنم
ألقوا من الهمّ أكواما وهمُّهمُ ... أن يطفؤوا خير نورٍ في ذرى القمم
سبُّوه و ابتذلوا الإيذاء مُرتسِما ... وأطلقوا ترهات الزيغ والغشم
فأعظموا الجَرح حتى عم جرحُهمُ ... وأظهروا الشتم لم يألوا بمحترَم
والله لو عرفوا فضلا يعُج به ... لأقبلوا يطلبون العز في شمم
وكيف يدرك في الدنيا حقيقته ... قوم نيام تسلوا عنه بالحُلم
قد أشرق الصبح حين استل فيلقه ... غيثٌ تهتز به الأرض من العدم
أتى وأشرقت الأنوار من فمه ... منائر لم تزل نورا على الأمم
وكان ذاك منارَ الصدق معجزةً ... بكل شيء ترى أعجوبة القدم
أُسكت أيا باذلا قولا ذميما مشى ... في قوله الإثمُ كي يلقى على القمم
أُسكت و لا تُبْدِ قولا فالمقام لمن ... أُسكت و لا تُبْدِ قولا فالمقام لمن حاز
أُصمت ولا تُبْدِ حرفا فالشموس إذا ... المكانة من عرب و من عجم
إذا ما ارتوت عينٌ برؤيته باتت من ... بدَتْ مَحَتْ سلف الأنوار والظُلم
أعني الحبيب أيا من يصطلي ألما ... شمس حرٍّ الجوى والشوق لم تنَم
تضَوَّعْ من كل مسك وخذ مُلتمسا ... هل لي بحب كحب المصطفى الأمَم
صنف وألف وقل شعرا فما فعلت ... غَرفا من البحر أو رشفا من الدِّيَم
يا أيها المُجتري بالحقد ممتلئا ... يداك إلا كأبعاض من الشيم
فكيف تُنكر فضلا بعدما شهدت ... إن التخلُّفَ في الكبر و في الغشم
والله لو نطق الدهر هجا أمة ... به عليك الأيادي و كلُ الشيم
وإن رب ليجعل الذي عسى أن ... لصاحب الحق لا تحمي أو تحترم
لوما النار اشتعلت بالذي قد جاورت ... يؤلِّم النفسَ كلّ الخير والنعم
يا نفس لاتقنطي من فتنة عظمت ... لم يُدْرَ أطيب العود من كل الحُطَم
و إن الصبحَ بزوغُه لُمنحتم ... إن الشدائد في التيسير تنعدم
بشرى لنا معشر الإسلام إن لنا ... وإن طالت حيرة الأمة في الظُلم
و نُشهد الله أن الحِبَّ بلغنا ... من العناية ركنا غير منهدم
لكننا اليوم ضيعنا منارته ... دينا تماما عظيم الشأن والنعم
فهذه نفثة من قلبِ محترقٍ ... أما لنا توبةٌ لله ذي الكرم
والحمد لله رب العالمين على ... نظمتها كي تُعلِّي نخوة الهِمم
ثم الصلاة على المحمود سيدنا ... إتمام ما قصدت نصرَهُ بقلم
... من اصطفاه حبيباً بارئ النَّسَم

العدد 12 - 05 جمادى الثانية 1427 الموافق لـ 01 يوليوز 2006

سكري الأطفال : أسبابه.. أعراضه..

يعتبر المرض أمر قدري لا نملك دفعه عن أنفسنا أو عمن حولنا، وداء السكري هو أحد هذه الأمراض التي قد تشكل للمصاب ولمن حوله ما يشبه الأزمة وتجعلهم في حالة استنفار دائم لما يتطلبه هذا المرض من متابعة دورية، ومراقبة دقيقة ونظام غذائي صارم.

وإذا كان الحديث عن سكري الأطفال فلابد هنا من الأخذ بجملة من الاحتياطات التي تمكن الأهل من إحكام المراقبة وتنظيم الحياة اليومية للطفل بالشكل الذي يشعره بأنه لا يختلف في شيء عن أبناء جيله، وأن عليه التأقلم مع هذا المرض وتقوية عزيمته للتعايش معه.

الداء موجود والأسباب مجهولة

إذا كان داء السكري سواء لدى الكبار أو الأطفال ينشأ بسبب تعرض خلايا البنكرياس للضرر فإن أسبابه لم تعرف بعد، وإن أبدى العلماء العديد من النظريات لتفسيره ومنها:

ـ عامل المناعة: عند إصابة الطفل بالتهاب ما، يبدأ الجسم مكافحة هذا الالتهاب عبر المناعة الطبيعية، ولكن عندما تتكون الأجسام المضادة لهذا الالتهاب فإنها تكون مضادة أيضًا لخلايا "بيتا" في البنكرياس فتحطمها كما تحطم الجرثومة المسببة للالتهاب.

ـ عامل الالتهابات: أن الجرثومة المسببة للالتهاب، تذهب عن طريق الدم إلى البنكرياس وتحطم خلايا "بيتا".

ـ عامل الوراثة: يزداد احتمال إصابة الطفل بالسكري عند وجود أخ أو أخت من أبويه معًا مصاب بالسكر ولكنه لا يزيد على نسبة 10، وتزداد هذه النسبة عند التوائم لتصل إلى40.

أهم الأعراض:

التبول اللاإرادي

يتراكم السكر في الدم بدرجة كبيرة فيخرج مع البول، حيث تعجز الكليتان عن الاحتفاظ بالسكر عند بلوغه حدًا معينًا.

ويسحب البول قدرًا كبيرًا من الماء، ولذلك تكون أول أعراض داء السكري هو التبول المتكرر وبكميات كبيرة، والملاحظ عند الأطفال أنهم قد يبدأون بالتبول اللاإرادي وهم نائمون، وإذا استمرت هذه العملية دون علاج فإن أعراض الجفاف قد تظهر عند المريض.

وبما أن الخلايا قد حرمت من التغذية وأصيبت بالمجاعة فإنها تبحث عن مصدر آخر للغذاء، وليس أمامها سوى الدهنيات الموجودة داخلها فتقوم باستعمالها، ليشعر الطفل بالإرهاق الشديد والتعب كما يفقد قدرًا من الوزن، وقد يشعر أيضًا بالصداع والدوار ومن ثم القيء، إذ تفرز الخلية بعد استخدامها للدهنيات مواد حامضة "أسيتون" أو "الكيتون" تنتشر في الدم وتسبب زيادة في حموضة الدم وتؤدي إلى القيء ومن ثم الشعور بالنوم المؤدي إلى الغيبوبة إن لم يعالج في الحال.

العلاج بالأنسولين

يدخل الطفل المصاب المستشفى لمدة أسبوع إلى ثلاثة أسابيع، خصوصًا إذا كان الطفل مصابًا بالجفاف والحموضة الشديدة فلا بد من إعطائه السوائل والأنسولين عبر الدم.

أعراض هبوط السكر وأسبابه

انخفاض نسبة السكر في الدم عن المستوى الطبيعي، فيشعر المريض عندها بالتعرق الشديد والجوع وارتعاش وشحوب في اللون، يرافقه خفقان في القلب ودوخة وعدم تركيز ومن ثم إغماء أو تشنجات، وبالنسبة للطفل قد يتصرف بحركات غير طبيعية كأن يكسر ما في يديه أو تختل مشيته أو يفقد التركيز في الإجابة عن الأسئلة.

وهنا لا بد من العلم أن غيبوبة نقص السكر في الدم أخطر من غيبوبة زيادة السكر وإذا استمرت لفترة طويلة تؤدي إلى تغيرات في الجهاز العصبي وخصوصًا المخ.



ولهبوط نسبة السكر في الدم أسباب عديدة منها:

ـ عدم أخذ وجبة طعام أو تأخيرها مع أخذ الأنسولين.

ـ أخذ كمية من العلاج أكثر من الكمية المحددة.

ـ ممارسة الرياضة لفترة طويلة دون أخذ وجبة خفيفة قبل ذلك أو بعده.

ـ عدم الاهتمام بالوجبات الخفيفة بين الوجبات الرئيسية.

العلاج

هناك علاج سريع كأن يأخذ المريض عصيرًا محلى أو قطعة من السكر أو حبات من التمر أو أخذ وجبة طعام كاملة أو إسعاف المريض إلى أقرب مستشفى لأخذ سائل السكر.

أما العلاج المعتاد فإنه يعتمد على أخذ الوجبات الرئيسية بانتظام دون تأخر وأخذ وجبة خفيفة قبل الرياضة مع عدم ترك الوجبات الخفيفة، هذا إلى جانب التأكد من جرعة الدواء قبل تناوله.

إن تغذية مرضى السكر، ليس أمرًا صعبًا سواء من حيث استيعاب نوعية الغذاء أو تطبيقها على مريض السكر، فالمريض يستطيع تناول غذاء يتناسب مع احتياجاته وعاداته الغذائية حال حصوله على المعلومات الأساسية التي تجعله قادرًا على اختيار غذائه بنفسه، بعد أن يحدد له الطبيب كمية الأنسولين وكذلك اختصاصي التغذية الغذاء المناسب يوميًا، وهذا لا يعني منع المريض من السكر أو النشويات المعقدة كالبطاطس والموز، فمن حقه تناول الأطعمة المتنوعة بعد تحديد الكمية، وهذا ما يسمى قائمة البدائل، لذا يجب على الأهل ألا يحرموا طفلهم المصاب من الأطعمة الموجودة في قائمة البدائل.

ولعل مشكلة الطفل مع الحمية الغذائية تبرز واضحة، كأن يأكل أكثر أو أقل من الكمية المحددة، وهنا يأتي دور الأهل في إقناعه، ويجب أن نعرف أن لكل طفل كمية سعرات حرارية خاصة به، تتم ترجمة هذه السعرات إلى أطعمة متناولة، ويعتمد هذا الأمر على عمر الطفل ووزنه وطوله وجنسه وكذلك نشاطه، والهدف من هذا منع حالات هبوط السكر والتحكم فيه.

الحمية الغذائية

وهي غذاء متوازن ومعدل، بحيث لا يحتوي على المواد السكرية البسيطة (وهي كل طعام ذي مذاق حلو: الحلويات ـ المشروبات الغازية ـ العصائر غير الطبيعية المحلاة وغير ذلك من الحلويات المصنعة غير المفيدة)، من هنا يجب أن يهتم الأهل كثيرًا بوجبات طفلهم المريض بأن يعودوه أكل المفيد من فواكه وخضار ووجبات خفيفة لجعل نسبة السكر في الدم دون زيادة أو نقصان.

فالغذاء السليم يجعل المريض ينمو بصورة طبيعية جسمانيًا وعقليًا، كما يجب على الأهل تعليم الطفل كيفية تعرضه لأعراض انخفاض السكر وارتفاعه لكي يستطيع اتخاذ الخطوة السليمة ويتفادى الدخول في غيبوبة السكري وتبعاتها.

وأيضًا تأكيدهم أهمية غسل اليدين والشعر وتقليم الأظفار وغيرها من أمور تعنى بالنظافة.

معاملة الوالدين:

يجب أن تكون معاملة الأهل للطفل المصاب بداء السكري طبيعية جدًا، إذ إن الصحة النفسية للطفل تعتمد نوعًا ما على نوعية انفعال الوالدين ومداه وآلية تربيتهم، وعلى الوالدين تجنب الخوف الزائد والإفراط في تدليل الطفل بحجة أنه مريض، لأن هذا يوجد لديه نوعًا من التوتر النفسي، بل على العكس يجب أن نولد فيما بينه وبيننا جوًا من الود والتفاهم، فتعامل الأهل وكذلك الفريق المعالج يعتبر من الأركان الأساسية للتحكم والتعايش بأمان مع السكري.

نصيحة: إن معظم النباتات التي تستعمل لعلاج السكر بواسطة الأطباء الشعبيين والعطارين كالحنظل والمر والزعتر وغيرها تحتوي على مواد تخفض نسبة السكر في الدم وتحتوي كذلك على مضار جانبية كثيرة لذا ننصح بعدم استعمالها وخصوصًا للأطفال.

تحليل السكر في المنزل

تحليل نسبة السكر في المنزل من الأمور المهمة في العلاج حيث يقوم المريض بتدوين النتائج في جدول خاص به.

أهمية هذا التحليل أنه يقلل المضاعفات المزمنة، والكشف المبكر عند حدوث ارتفاع أو انخفاض في نسبة السكر، وأيضًا المساعدة على استقرار نسبة السكر في الدم، إضافة إلى أنه يساعد على تحديد طرق العلاج وجرعات الأنسولين.

العدد 12 - 05 جمادى الثانية 1427 الموافق لـ 01 يوليوز 2006

انحراف الشباب: الأسباب والعلاج

ناصر عبد الغفور

قال الله تعالى: "كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ" آل عمران.

فهل يعقل أن أمة أخبر الله بخيريتها وبأفضليتها على سائر الأمم، أن يكون أهم عنصر فيها وعماد نهضتها ألا وهو شبابها قد انغمس في الشهوات وتثاقل على الطاعات، آثر اتباع الغرب عن إتباع الشرع، بدلا أن يكون قدوته رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وغيرهم من سادات العالم، جعل قدوته المغنيين والاعبين والممثلين، حتى أن بعض شبابنا تجدهم يقلدون محبوبهم من هؤلاء المنحرفين عن صراط رب العالمين في لباسه وتسريحة شعره بل وفي مشيته، أقبلوا على القنوات وما فيها من المسلسلات والأفلام الخليعات وتركوا المساجد وأماكن الخيرات، وتزاحموا في المقاهي ودور السينما وأماكن الفساد، نسوا أنهم من أمة أنجبت قادات، آثروا رفقاء السوء لما يزيِّنون لهم من الشهوات ونفروا من كل جليس صالح لما يذكرهم به من الموعظات.

أما فتيات أمتنا فحدث ولا حرج، التبرج سمة الكثير منهن إلا من رحم الله، نبذن الحجاب والخمار وأقبلن على لباس بعيد عن كل علامات الحشمة والوقار، بدلا من أن يتنافسن في حفظ كلام الرحمن وما فيه من الآيات أثرن سماع الألحان وحفظ الأغنيات، تركن الإقتداء بالصحابيات والتابعات واتبعن الماجنات من الممثلات والراقصات.

فكيف نروم النصر وأكثر شباب أمتنا بهذه الحال؟

أين شباب أمتنا من مثل علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد وخالد بن الوليد وابن عمر وابن عباس..، وأين نسائنا من مثل عائشة وحفصة وأم سليم وأسماء ذات النطاقين..؟

ألم يعلموا أن عماد نهضة كل أمة وشرايينها التي تقوم عليها هم شبابها؟ فهم رجال المستقبل المنتظر، منهم الذود عن مقدسات الأمة والتضحية بكل غال ونفيس في سبيل رخائها وسعادتها وعزها وكرامتها.

فما هي الأسباب الكامنة وراء انحراف معظم شبابنا عن النهج القويم والصراط المستقيم، وكيف المخرج؟

من أسباب الانحراف في صفوف الشباب:

1- البعد عن الله وعن كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وبالتالي فراغ القلب والروح من غذائهما ألا وهو كلام الله وكلام رسوله، قال تعالى: "وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا" الشورى.

2- إهمال الآباء تربية أبنائهم، فكيف يرجى صلاح أبناء ولدوا ثم تركوا هملا، فلا أب يراقب ولا أم تنصح، الكل اهتم بالإشباع المادي على حساب الإشباع الروحي، وكيف نأمل استقامة أبناء وجدوا منازلهم مرتعا لكل وسائل الفساد من قنوات ومجلات...

3- فساد وسائل الإعلام المرئية والمسموعة، فبدلا أن تكون هذه الوسائل أداة إصلاح لشباب الأمة، صارت أداة تدمير روحي وعقدي وخلقي لكثير من هؤلاء الشباب.

4- العولمة وما أدراك ما العولمة، هذا السم القاتل الذي ذهبت ضحيته هوية المسلمين وذابت في هوية الغربيين، حيث أصبحت أرض المسلمين مجالا خصبا لكل وسائل الفساد القادمة من الغرب والتي تدخل ترابنا بكل يسر وسهولة تحت إطار العولمة ففتحت أبواب العبث والانحلال على مصاريعها.

لقد نسجت العولمة خيوطها على أمتنا لتصطاد الضعفاء من أبنائها، وقد نجحت في ذلك حيث جذبت إليها شبابنا كما جذبت النار سرب الفراش فتهافت فيها واحترق بلهيبها.

5- الإنترنت وهو نموذج عن العولمة الإعلامية - سلاح ذو حدين لكن للأسف معظم الشباب أخذوا بالحد القاطع ليقطع صلتهم بكل مقومات العقيدة والدين، فانغمسوا في مواقع الفساد بكل أشكاله بدلا من أن يستفيدوا من المواقع الإسلامية وما أكثرها.

6- التضييق والحصار المفروضان على العلماء والدعاة إلى الله، والذين لا يجدون بالتالي المجال الكافي للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتوجيه الشباب، ففي الوقت الذي تغلق فيه أبواب كثير من المساجد ودور القرآن الكريم التي أخذت على عاتقها تربية الشباب التربة الإسلامية، لا يجد المسئولون أدنى حرج في الترخيص لأصحاب البارات ودور السينما لفتح أوكارهم ومعاقل الفساد للقضاء على ما بقي لدى الشباب من مقومات.

7- انتشار التيار العلماني في الأمة انتشار السم في الجسد، حيث أن العلمانيين أعطيت لهم الفرصة، وفتح لهم الباب على مصراعيه لبث أفكارهم الهدامة بين صفوف الأمة، وإعطاء صورة مشوهة، عبر جرائدهم ومنابرهم، عن الدين والملتزمين به علامة، فكل من التزم بشرع الله لقب بالإرهابي في نظرهم، وهذا ليس بالغريب عن العلمانيين فمخططاتهم لا تهدف إلا لتدمير الشخصية الإسلامية.

8- المدارس المختلطة بين الجنسين وبخاصة في الجامعات والثانويات، ووضع المناهج المختلطة، لا شك أنها وسيلة لإشاعة الفاحشة بينهم وتقوية الدوافع إليها، بشكل يتهدم معه الوازع الخلقي في نفوسهم. فكيف نأمل وقاية شاب يجلس صباح مساء بجانب فتاة قد أرسلت شعرها وتعطرت وارتدت لباسا كاشفا عن مفاتنها؟ والله إنها دعوة سافرة للفاحشة.

9- الرفقة السيئة، فكم من شاب انحرف عن الصراط القويم والوقوع فيما يغضب رب العالمين نتيجة رفقاء السوء، وكما يقال الصاحب ساحب، والمجالسة تجر إلى أخلاق الجليس.

10- فساد مناهج التربية والتعليم، فبدلا أن تكون هذه المناهج مناهج إصلاح وتقويم صارت تحاكي مناهج الدول الغربية، خاصة في الثانويات والجامعات، حيث يتم تقليص كل المواد التي لها علاقة بالدين بل لا تجد أثرا لهذه المواد في معظم شعب التعليم العالي والله المستعان.

هذه بعض أسباب انحراف شبابنا وفي العدد المقبل إن شاء الله تعالى سنذكر بعض الحلول المقترحة كعلاج لهذا الداء.

بربريـــة أنا ولكـــن؟؟

زينب أم مصعب

بلغ التعصب العرقي في المغرب مداه وبشكل خطير ومثير للقلق، ورفع كل جنس عقيرته مطالبا بحقوقه ومستحقاته، وأبرز الدعاة لذلك بعض العلمانيين اللادينين من بني جلدتنا "البرابرة".

ارتكزوا في دعوتهم على بعض النزعات الجاهلية عند البرابرة زالشلوحس كالدعوة بأنهم أهل الخير والكرم والجود والتواضع والوفاء.. وغيرهم أهل مكر وخداع.. حتى أن بعض المتعصبين منا يصرُّ على عدم التزوج من غير بني جنسه، وإن خالفهم أحد فتزوج من غيرهم سقط من أعينهم.

وتراهم كالغرباء في بلادهم لما حملوا في قلوبهم من غيظ على غير بني جنسهم، يعدون من كان أصله بربريا ونشأ في المدينة ولم يتعلم البربرية قد فاته الكثير، ويتأسفون على ذلك أشد مما يتأسفون على من فاته حفظ ورده من القرآن.

نعم إن الناس يختلفون فقد تجد من طبائع بعض القبائل أنهم مخادعين كذابين قد لا يصلون، وآخرين متكبرين متأففين يحقرون كل من كان دونهم، لكن كل هذا لا يسوغ لنا الحكم على أن كل من كان غير بربريا فهو من هذا الصنف، قال تعالى: "إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ".

ثم إن هذا التعصب الذي رسخ في هذه الطبقة عبر عقود من الزمن منشؤه من أعداء الإسلام، وما إنشاء الضهير البربري إلى دليل واضح على ذلك، فأعداء هذه بلاد من الداخل والخارج لا يرجون لها إلا الفرقة والشتات، وما تركيزهم ودعمهم للأقليات سواء داخل المغرب أو خارجه إلى دليل على ذلك.

قال تعالى حاكيا عن إبليس: "أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ"، قال القرطبي رحمه الله في تفسيره: "أي منعني من السجود فضلي عليك"، فاستكبر مستندا لأصله، فتنبه.

وقال تعالى: "أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلاً".

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر".

ولقد رأينا كيف مزق التعصب العرقي الشعب الواحد في الصومال، وفي أفغانستان، كما أنه كان من أهم عوامل اشتعال الحرب العالمية الاولى والثانية نتيجة العقائد العرقية للشعب الألماني، وعموما فجراثيم التعصب العرقي لن تنجح إذا وجدت عندنا مناعة فكرية وإيمانية ووعي سياسي، واقتصادي وانتماء حقيقي لوحدة المسلمين.

وهو فوق كل هذا أحد معوقات التنمية سواء على المستوى الوطني أو الدولي، فأغلب خطط التنمية تعيش في دوائر عرقية وطنية مما يمنع تحقيق القفزات التنموية سواء كانت اقتصادية، أو سياسية أو تكنولوجية، أو إدارية، أو ثقافية، ولعل أخطر ما في التعصب العرقي أنه عدو مجهول، أي لم يدرك الكثيرون إلى الآن خطورته وآثاره المدمرة، فالكثيرون يعتبرونه جزءاً من الانتماء القبلي أو القومي ولهذا يتمسكون به، بل يدافعون عنه، وهم لا يشعرون أنهم يدافعون عن الباطل.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لينتهين أقوام يفخرون بآبائهم الذين ماتوا إنما هم فحم جهنم، أو يكونن أهون على الله من الجعل الذي يُدَهده الخرء بأنفه، إن الله أذهب عنكم عبِّيَّة الجاهلية، إنما هو مؤمن تقي، وفاجر شقي، الناس كلهم بنو آدم، وآدم خلق من تراب" الترمذي وأبو داود.

ما السّرّ وراء الحرب على الجمعيات الخيرية الإسلامية

المتتبع للإجراءات الأمريكية، ومن ثم الغربية، وما يفرض منها على بعض الحكومات العربية والإسلامية أن تتخذه حيال الجمعيات الخيرية الإسلامية؛ يكتشف للوهلة الأولى أن المسألة عميقة جداً واستراتيجية، وليست مجرد رد فعل طارئ سيأخذ مداه ثم يهدأ ويسكن، وأن الحرب على الجمعيات الخيرية الإسلامية هي حرب عالمية على الإسلام ديناً وحضارة وقيماً وسلوكاً وجهاداً.

وهل من المفيد هنا أن ننقل عن واحد من الباحثين وضع فرضية مبدئية وأدخلها في حاسبه الشخصي، وظل يرصد الأحداث وتصريحات السياسيين التي لها صلة بهذه الفرضية، وكان يدهش كيف أن الوقائع ظلت تؤيد فرضيته؛ لقد بنى هذه الفرضية في شكل هرم كتب على ثلثه الأعلى المقاومة، وعلى ثلثه الأوسط المؤسسات الخيرية والمؤسسات المالية، وعلى قاعدته القيم والمبادئ، وقد افترض أن الغارة على الإسلام في صراع الحضارات سوف يكون هدفها الأول المقاومة، وهدفها الأخير القيم والمبادئ، مروراً بالمؤسسات الخيرية والمالية.

وهل تلك الفرضية التي افترضها هذا الباحث من الدقة والذكاء بحيث تلخص المسألة كلها: حقيقتها، أهدافها، آلياتها؟

وقبل أن نسهب في شرح ذلك يجب أن نضع بعض الملاحظات حول الحرب الأمريكية والغربية على الجمعيات الخيرية.

- فمن ناحية؛ فإن خطاب العولمة المزعوم وخطاب قادة الفكر والسياسيين في الغرب؛ بل حتى مشروعات ومبادرات الإصلاح المزعوم التي يتقدم بها الرؤساء والباحثون، ومراكز الأبحاث ودوائر وزارات الخارجية..الخ، وآخرها مبادرة الشرق الأوسط الكبير؛ كلها أكدت على ضرورة دعم ما يسمى بالمجتمع المدني - غير الحكومي - باعتباره إحدى ركائز "الديمقراطية" وأحد أهم بنود "الأجندة" العالمية حالياً، وبديهي أن من يدعم المجتمع المدني لا يمكن بأية حال من الأحوال أن يمنع هو هذا المجتمع المدني أو يصادر جمعيات خيرية هي إحدى خصائص هذا المجتمع المدني المزعوم، أو يدعو الحكومات العربية والإسلامية إلى بسط سيطرتها على تلك الجمعيات.. إنها مناقضة صارخة، وازدواج معايير واضح، وهذا يكشف حقيقة الأجندة الأمريكية الغربية بخصوص هذا المجتمع المدني المزعوم؛ فالمطلوب دعم الجمعيات والهيئات والمؤسسات غير الحكومية التي تعمل وفق "الأجندة" الغربية ، والتي تتلقى تمويلاً من الجهات الغربية، أي التي تعمل في إطار خدمة المشروع [الأمريكي - الصهيوني] بوعي أو بدون وعي؛ أما من يعمل مستقلاً في التمويل، مستقلاً في الأهداف، غير منضبط تماماً على نغمة المصالح الأمريكية فهو مرفوض ومتهم بالإرهاب، وسوف تصدر القرارات بمنعه ومصادرته وهكذا فإن الحرب الأمريكية الغربية على الجمعيات الأهلية الخيرية الإسلامية كشفت ضمن ما كشفت عن نفاق أمريكي وغربي واضح.

- ليس المطلوب إذاً جمعيات تساعد الفقراء، أو تعين المحتاجين أو تحفر الآبار في إفريقيا وآسيا، أو تساعد ضحايا العدوان الصهيوني على الفلسطينيين، أو تبني المساجد أو ترعى الأيتام؛ بل المطلوب جمعيات تهدم القيم عن طريق تحريض المرأة على الخروج على تعاليم الإسلام، أو التمهيد للقبول بإسرائيل بدعوى القبول بالآخر، أو الترويج للقيم الأمريكية بدعوى أنها قيم عالمية.

خدمة المشروع الأمريكي

وهكذا فإن أول أهداف الحرب على الجمعيات الخيرية الإسلامية هو منع امتداد المجتمع الأصلي الصحيح وإزاحته ليحل محله المجتمع الأهلي المزيف والعميل.

هذا بالطبع لخدمة المشروع الأمريكي، وهو أيضاً إحساس داخلي عميق بخطورة المجتمع الأهلي الإسلامي مُمثلاً في الجمعيات الخيرية، لأن آلية العدوان الأمريكي قادرة على السيطرة على كل ما هو حكومي ومعروف ومبرمج، أما العمل الأهلي فهو الأكثر صعوبة والأقدر على الاستمرار وخلق حالة من المقاومة أو الصمود أو الرفض، وتحقيق نوع من المناعة للمجتمعات الإسلامية.

- إن استخدام عنوان الإرهاب كذريعة للحرب على الجمعيات الخيرية الإسلامية أمر لم يكن لينطلي على أحد؛ فالكلمة نفسها تستخدم بمناسبة وبدون مناسبة لوصف كل مناهض لأمريكا وإسرائيل؛ كما تستخدم من قِبل كل من يريد استعداء أمريكا وإسرائيل والغرب على جماعة أو دولة أو فرد، أو يريد إرهاب الآخرين وتخويفهم وإسكاتهم، وبديهي فإن الحرب على الإرهاب لا علاقة لها بالعمل الخيري أساساً، ويمكن حساب فرد أو مجموعة على ما قامت به بافتراض هذا صحيحاً دون المساس بالفكرة أو العمل الخيري عموماً.

وعلى كل حال؛ فإن ما لاحظناه حول استخدام كلمة الإرهاب بطريقة فجة وممجوجة ومزدوجة المعايير ومنافقة هو في حد ذاته دليل على تهافت التهمة الموجهة للجمعيات الخيرية الإسلامية.

- يربط البعض عادة بين الحرب على الجمعيات الإسلامية أو الإسلام أو المظاهر الإسلامية وبين أحداث 11 سبتمبر 2001, وهو ربط غير صحيح؛ فلا علاقة سببية بين الاثنين؛ بل يمكن القول إن الحادث قد استخدم كذريعة أو تبرير أو مناسبة لتصعيد الهجوم على المظاهر الإسلامية، والحقيقة أن هناك وجدان صليبي غربي معروف، وهو يمثل الظاهرة الرئيسة في التاريخ، وحتى الآن قد تخفت أحياناً بسبب وجود تناقضات ثانوية [كالتناقض السابق بين الاتحاد السوفييتي وأمريكا] ، ولكن ما أن يتم حل هذه التناقضات الثانوية حتى يبرز التناقض الأساسي والجوهري، وهكذا فإن الحرب على الإسلام والظواهر الإسلامية لم تتوقف منذ ظهور الإسلام وحتى اليوم، ولكن المناسبة الأكبر لتسارع وتيرة هذه الحرب هو سقوط الاتحاد السوفييتي السابق والمنظومة الشيوعية وليس أحداث 11 سبتمبر.

- إن من المعروف في قواعد مناهضة أية فكرة أو حركة ضرورة ضرب حلقاتها الوسيطة باعتبارها الرابط بين الجذر والثمار المرجوة؛ لأن من المستحيل عملياً اقتلاع الجذور، أو أن ذلك صعب جدا. أما قطع الساق فهو الطريق الأسهل لمنع ظهور الثمار، وهكذا ووفقاً لفرضية الباحث المذكور سابقاً من أن الجمعيات الخيرية هي الحلقة الوسيطة بين القيم والمقاومة؛ فإن ضرب الإسلام يقتضي ضرب تلك الحلقة الوسيطة.

- وهل من المفيد هنا انطلاقاً من النقطة السابقة أن نبحث عن الأسباب العامة والخاصة الاستراتيجية والتكتيكية لضرب الجمعيات الخيرية الإسلامية، فهي تأتي في الصراع الحضاري الممتد في التاريخ والجغرافيا بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية؛ أي في إطار الصراع بين فكرة التوحيد والعدل والحرية واللاعنصرية والتسامح، وبين العنف والقهر والنهب والوثنية والعنصرية والظلم وازدواج المعايير، وهي تأتي في محاولة فرض قبول الرأسمالية على العالم ، وذلك أنه بعد انهيار الشيوعية وثبوت فشلها نظرياً وفلسفياً وتطبيقياً؛ فإن المنظومة الإسلامية هي الوحيدة المرشحة لمناهضة الرأسمالية؛ ليس بالنسبة للمسلمين فقط؛ بل بالنسبة لكل سكان العالم المتضررين منها، لأن الإسلام يمتلك خطاباً عالمياً، ويمتلك خطاباً منحازاً للمستضعفين والفقراء، وينصفهم ولا يظلمهم، ويمتلك خطاباً غير عنصري، وهو بهذه المثالية يمكن أن يكون أمثل مرجعية للراغبين في مناهضة العولمة والرأسمالية، بالإضافة إلى كونه ديناً، ومنظومة قيمية للمسلمين تحُول دون خضوعهم أو قبولهم بالانصياع للقيمة الغربية والأمريكية، وهكذا فهو الأساس الصحيح لظهور الرفض والمقاومة، وعدم الانصياع وتعطيل مشروع الهيمنة [الأمريكي- الصهيوني] على العالم، وبالتالي فإن ضرب وتصفية الجمعيات الخيرية الإسلامية هو نوع من الحرب الاستباقية ضد الدور الإسلامي المتوقع، وهو نوع من الحرب الدعائية الإعلامية غير المباشرة، فبدلاً من أن تقوم تلك الجمعيات بتزويد المجتمعات الإسلامية بقدر أكبر من القدرة على الاستمرار والصمود، ونشر القيمة الإسلامية، وبدلاً من أن يتم الحديث عن الإسلام باعتباره يرعى اليتيم، ويساعد الفقير، ويُبقي بئر الماء، ويساعد على التعليم؛ يتم الحديث عنه فقط - زوراً - بلفظ الإرهاب والعنف والبربرية؛ وبالتالي تنجح الحملة العالمية الأمريكية الصهيونية في تشويه صورة الإسلام وحصاره.

في مواجهة التنصير والتغريب

بالإضافة إلى ذلك فإن العمل الخيري الإسلامي هو نوع من المانع الضروري لشل قدرة جماعات التنصير والتغريب عن العمل، والتي تخدع الناس وتحاول شراء وجدانهم بالمساعدات، ومن المعروف أن هناك علاقة جدلية بين التنصير والاستعمار فكلاهما يخدم الآخر، وكل منهما يؤدي إلى الآخر، وبالتالي فإن إزاحة العوائق من أمام المنصّرين هدف أمريكي استعماري صهيوني مباشر واستراتيجي، وفي هذا الصدد؛ فإن الحرب على الجمعيات الخيرية يصبح ضرورياً لنجاح مخطط التنصير.

إن العمل الخيري الإسلامي به أخطاء، ولكن الأخطاء يمكن تداركها بمعرفتها وحلها ولن يخلو عمل بشري من الأخطاء قط، ونزعم أن العمل الخيري الإسلامي هو الأفضل من حيث شفافيته، ولكن الأخطاء فيه بالنسبة للجمعيات الخيرية اليهودية أو المسيحية، ورغم كل الفضائح والجرائم التي ارتكبتها الجمعيات المسيحية واليهودية؛ فإن أحداً لم يطالب بإلغائها أو تصفيتها وهكذا فإن تهافت مبررات الحرب على الجمعيات الخيرية الإسلامية بيّنت أن المسألة حرب على الإسلام تأخذ أشكالاً متعددة؛ منها الحرب على الجمعيات الخيرية الإسلامية.

د/ محمد مورو

نقلا عن مفكرة الإسلام بتصرف يسير

العدد 12 - 05 جمادى الثانية 1427 الموافق لـ 01 يوليوز 2006

العدد 12 - 05 جمادى الثانية 1427 الموافق لـ 01 يوليوز 2006

تسلية وترويح

ما غلبني أحد قط سوى...

روي عن إياس بن معاوية أنه قال: ما غلبني أحد قط سوى رجل واحد، وذلك أني كنت في مجلس القضاء بالبصرة، فدخل علي رجل شهد عندي أن البستان الفلاني "وذكر حدوده" هو ملك فلان، فقلت له: كم عدد شجره؟ فسكت ثم قال: منذ كم يحكم سيدنا القاضي في هذا المجلس؟ فقلت: منذ كذا. فقال: كم عدد خشب سقفه؟ فقلت له الحق معك وأجزت شهادته.

قال: أنا ابن الحمامة

ومن بخلاء العرب المشهورين الحطيئة، فقد حكي عنه أنه مر به ابن الحمامة وهو جالس بفناء بيته، فقال له: السلام عليكم، فقال: قلتَ ما لا يُنكر. قال: إني خرجت من أهلي بغير زاد. قال: ما ضمنت لأهلك قراك. قال: أفتأذن لي أن آتي بظل بيتك فأتفيأ به؟ قال: دونك الجبل يفيء عليك. قال: أنا ابن الحمامة. قال انصرف وكن ابن أي طائر شئت!

والله لا ذقته يا أعرابي

وقف أعرابي على بخيل وهو يتغذى، فسلم، فرد عليه، ثم أقبل على الأكل ولم يعزم عليه، فقال له: إني قد مررت بأهلك، قال: كذلك كان طريقك، قال: وامرأتك حبلى، قال: كذلك كان عهدي بها، قال: قد ولدت، قال: كان لا بد لها أن تلد، قال: ولدت غلامين، قال: كذلك كانت أمها، قال: مات أحدهما، قال: ما كانت تقوى على إرضاع الاثنين، قال: مات الآخر، قال: ما كان ليبقى بعد موت أخيه، قال: وماتت الأم، قال: حزنا على ولديها، قال: ما أطيب طعامك! قال: لأجل ذلك أكلته وحدي، والله لا ذقته يا أعرابي!

أتبشرينني بعدوِّ الخبز

بشرت امرأة زوجها بأن ابنها اتّغز -بدأ ظهور أسنانه-، فقال أتبشرينني بعدو الخبز، اذهبي إلى أهلك.

حضور البديهة

قال الأصمعي لغلام حدث السن من أولاد العرب: أيسرك أن يكون لك مائة ألف درهم وأنك أحمق؟

فقال: لا، والله.

قلت: ولم؟

قال: أخاف أن يجني علي حمقي جناية تذهب بمالي ويبقى علي حمقي!

اليتم قبل العقوق

قيل لأعرابي: لم أخرت التزويج إلى الكبر، فقال لأبادر ولدي باليتم قبل أن يسبقني بالعقوق.

أين الصديق

قيل لأعرابي: كيف أنسك بالصديق؟ فقال: أين الصديق؟ بل أين الشبيه به؟ بل أين الشبيه بالشبيه بالصديق؟ والله، ما يوقد نار الضغائن إلا الذين يدعون الصداقة ويعاونون النصيحة، وهم أعداء في مُسوك "جلود" الأصدقاء.

لحن مستملح

قصد رجل الحجاج بن يوسف فأنشده:

أبا هشـــــام ببابـــــك

قد شـــم ريـح كبابـــــك

فقال: ويحك! لم نصبت: أبا هشام؟

فقال: الكنية كنيتي، إن شئت رفعتها، وإن شئت نصبتها!

حماقة الأب وابنه

قال أحمق لابنه، وكان أحمقا أيضا: أي يوم صلينا الجمعة في مسجد الرصافة؟ فقال: لقد نسيت، ولكني أظنه يوم الثلاثاء، قال: صدقت كذا كان.

حكم ومواعظ

ضع الموت نصب عينيك

الواجب على العاقل أخذ العدة لرحيله، فإنه لا يعلم متى يفجؤه أمر ربه "الموت"، ولا يدري متى يستدعى؟

وإني رأيت خلقاً كثيراً غرهم الشباب، ونسوا فقد الأقران، وألهاهم طول الأمل.

وربما قال العالم المحض لنفسه: أشتغل بالعلم اليوم ثم أعمل به غداً، فيتساهل في الزلل بحجة الراحة، ويؤخر الأهبة لتحقيق التوبة، ولا يتحاشى من غيبة أو سماعها، ومن كسب شبهة يأمل أن يمحوها بالورع.

ينسى أن الموت قد يبغت. فالعاقل من أعطى كل لحظة حقها من الواجب عليه، فإن بغته الموت رُئِي مستعداً، وإن نال الأمل ازداد خيراً.

فعليك بالعزلة والذكر والنظر في العلم، فإن العزلة حمية، والفكر والعلم أدوية. والدواء مع التخليط لا ينفع.

العمل للآخرة

إخواني ارفضوا الدنيا فقد رفضت من كان أشغف بها منكم، اتعظوا بمن كان قبلكم قبل أن يتعظ بكم من بعدكم، الدنيا خمر ساعدها تغريد "طائر" الطبع فاشتد سكر الشاربين، ففات موسم الربح، ثم بعد الإفاقة يقام الحد، فيقيم قائم الحزن ويكفي في الضرب فوت الخير، فإذا ماتوا ويحك إن الموت سحاب والشيب وَبَلُه ومن بلغ السبعين اشتكى من غير علة، والعاقل من أصبح على وجل من قرب الأجل، يا هذا: الدنيا وراءك والأخرى أمامك والطلب لما وراء هزيمة وإنما العزيمة في الإقدام، جاء طوفان الموت فاركب سفن التقى ولا ترافق "كنعان".

الغفلة عن الآخرة

يا هذا حب الدنيا أقتل من السم، وشرورها أكثر من النمل، وعين حرصك عليها أبصر من الهدهد، وبطن أملك أعطش من الرمل، وفم شرهك أشرب من الهيم، وإن خضت في حديثها فأنطق من "سحبان" وإن انتقدت دنانيرها فأنسب من "دغفل" حليتك في تحصيلها أدق من الشعر، وأنت في تدبيرها أصنع من النحل، تجمع فيها الدر جمع الذر.

الإخلاص

الإخلاص مِسْك "عطر" مصون في مَسْك "جلد" القلب، يُنْبِه ريحُه على حامله، العمل صورة والإخلاص روح، إذا لم تخلص فلا تتعب لو قطعت سائر المنازل لم تكن حاجا إلا بشهود الموقف، ولا تغتر بصورة الطاعات فإن خصم الإخلاص إذا جاء عند حاكم الجزاء ألزم الحبس عن القبول.

الظلام والتيه

يا تائها في ظلمة ظلمه، يا موغلا في مفازة تيهه، يا باحثا عن مدية حتفه، يا حافرا زبية هلاكه، يا معمقا مهواة مصرعه، بئسما اخترت لأحب الأنفس إليك.

ويحك! تلمح الجادة فأنت في ظلال عين أملك ترى المحبوب وتعمى عن المكاره، إذا كان عمرك في إدبار والموت في إقبال فما أسرع الملتقى، كيف يبقى على حالته من يعمل الدهر في إحالته، كيف تطيب الدنيا لمن لا يأمن الموت ساعة، ولا يكتمل له سرور يوم كم قرع الزمان بوعظه فما سمعت "لِيُنْذِرَ مَن كَانَ حَيّاً"، صاح ديك الإيقاظ في سحر ليل العبر فما تيقظت، فتنبه إذا نعق غراب البين بين البين.

لم أر أشقى بماله من البخيل

قال الإمام الحسن البصري رحمه الله في البخيل: لم أر أشقى بماله من البخيل لأنه في الدنيا يهتم بجمعه وفي الآخرة يحاسب على منعه، غير آمن في الدنيا من همه، وناج في الآخرة من إثمه، عيشه في الدنيا عيش الفقراء وحسابه في الآخرة حساب الأغنياء.

دموع المذنبين

سبحان من يرسل رياح المواعظ فتثير من قلوب المتيقظين غيم الغم على ما سلف فتسوقه إلى بلد الطبع المجدب برعد الوعيد وبريق الخشية فترقأ دموع الأحزان من قعر بحر القلب إلى أوج الرأس فتسيل ميازيب الشؤون على نطوع الوجنات فإذا أعشب السر تهتز فرحا بالإجابة.

أضف إلى معلوماتـك

إبرة العقرب: توجد في طرف ذيلها المعقد مقوسة قليلا ومثقوبة فيما يلي قمتها بثقبين متصلين بعقدة منتفخة فيها غدتان تفرزان سما وهما محاطتان بأوتار تصلح لعصرها وإنزال السم منها عند الحاجة، فمتى لمست العقرب الإنسان ضغطت بتلك الأوتار على تينك الغدتين فيخرج السم من جانبي تلك الإبرة من الثقبين اللذين فيها ويسري إلى دم الإنسان فيسمه.

والعقرب لا تلدغ إلا مدافعة عن نفسها لا لمحض الإيذاء كبعض الحيوانات، ولكنها لصغر جسمها تتسرب إلى الفرش ومظان الرطوبات، فقد يلمسها الإنسان عفوا فتظن أنه يريد بها شرا فتلدغه.

الباز: نوع من الطيور، والباز لغةُ في البازي جمعه (أبواز وبيزان) وهو خمسة أصناف البازي والزرق والباشق والبيدق والصقر، والبازي قليل الصبر عن الماء يأوي الأشجار الملتفة والظلام وهو سريع الطيران فرخه يسمى غطريفا.

العدد 12 - 05 جمادى الثانية 1427 الموافق لـ 01 يوليوز 2006

عوامل مساعدة على الصبر عن المعصية

من المفيد إيراد ما يساعد الإنسان على الصبر عن المعصية، كما أوضحها الإمام ابن القيم، وإليك بيانها:

1- علم العبد بقبح المعصية ورذالتها ودناءتها، وأن الله حرمها ونهى عنها صيانة وحماية للعبد عن الرذائل.. كما يحمي الوالد الشفيق ولده عما يضره.

2- الحياء من الله... فإن العبد متى علم بنظر الله إليه ومقامه عليه، وأنه بمرأى من الله ومسمع، كان حييًّا يستحي أن يتعرض لَسَاخط ربِّه... والحياء أن تنفتح في قلبك عين ترى بها أنك قائم بين يدي الله..

3- مراعاة نعم الله عليك وإحسانه إليك، فإذا كنت في نعمة فارعها، فإن المعاصي تزيل النعم... من أنعم الله عليه بنعمة فلم يشكرها عذبه الله بذات النعمة..

4- الخوف من الله وخشية عقابه.

5- حب الله.. فإن المحب لمن يحب مطيع...إنما تصدر المعصية من ضعف المحبة..

6- شرف النفس وزكاؤها وفضلها وحميتها.. فكل هذا يجعلها تترفع عن المعاصي..

7- قوة العلم بسوء عاقبة المعصية وقبح أثرها والضرر الناشئ منها، من سواد الوجه وظلمة القلب وضيقه وغمه..فإن الذنوب تميت القلوب..

8 – قصر الأمل، وعلمُ الإنسان أنه لن يعمر في الدنيا، ويعلم أنه كالضيف فيها، وسينتقل منها بسرعة فلا داعي أن يثقل حمله من الذنوب فهي تضره ولا تنفعه.

9- مجانبة الفضول في مطعمه ومشربه وملبسه، فإن قوة الداعي إلى المعاصي إنما تنشأ من هذه المفاضلات، ومن أعظم الأشياء ضررًا على العبد.. بطالته وفراغه.. فإن النفس لا تقعد فارغة.. إن لم يشغلها بما ينفعها شغلته بما يضره..

10- السبب الأخير هو السبب الجامع لهذه الأسباب كلها.. وهو ثبات شجرة الإيمان في القلب..

فصبر العبد عن المعاصي إنما هو بحسب قوة إيمانه، فكلما كان إيمانه أقوى كان صبره أقوى.. وإذا ضعف الإيمان ضعف الصبر..

ومن ظن أنه يقوى على ترك المخالفات والمعاصي بدون الإيمان الراسخ الثابت فقد غلط. انتهى.

الصبـــــر

المسلم الذي ارتضى لنفسه طريق التضحية لن يستمر في هذا الطريق ما لم يتحلى بالصبر، فلن يدوم تماسك البنيان ما لم نتواص بالحق ونتواص بالصبر فالمؤمنون جميعا مخاطبون بقوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ".

الصبر لغة وشرعا

الصبر لغة هو المنع والحبس، أما شرعا فقال الطبري رحمه الله:"الصبر منع النفس محابَّها وكفها عن هواها"، وقال أحد السلف: "الصبر هو الثبات على الكتاب والسنة"، وقال ابن الجوزي رحمه الله عن الصبر هو: "حبس النفس عن فعل ما تحبه وإلزامها بفعل مال تكره في العاجل، مما لو فعله أو تركه لتأذى به في الآجل"، وقال ابن عطاء رحمه الله: "الصبر الوقوف مع البلاء بحسن الأدب"، وقال أحد السلف: "حقيقة الصبر ألا يعترض على المقدور".

وجماع ذلك أن الصبر حبس النفس عن الجزع والتسخط، واللسان عن الشكوى، والجوارح عن اقتراف الذنوب والمعاصي.

فضيلة الصبر

قال تعالى: "إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ"، قال ابن كثير رحمه الله: "وقوله: "إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ". قال الأوزاعي: "ليس يوزن لهم ولا يكال، إنما يغرف لهم غرفا"، وقال ابن جريج: "بلغني أنه لا يحسب عليهم ثواب عملهم قط، ولكن يزادون على ذلك"، وقال السدي: "إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ" يعني: في الجنة.

عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من يتصبر يصبره الله، وما أعطي أحد عطاء خيرا وأوسع من الصبر" متفق عليه.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال عليه الصلاة والسلام: "من يرد الله به خيرا يصب منه" أي (يصيبه ببلاء) رواه مالك والبخاري.

وعن عطاء بن أبي رباح قال: قال لي ابن عباس: "ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ فقلت بلى قال هذه المرأة السوداء أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: إني أصرع وإني أتكشف فادع الله لي، قال: إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوة الله أن يعافيك فقالت: أصبر، فقالت: إني أتكشف فادع الله لي ألا أتكشف" رواه البخاري.

أنواع الصبر

والصبر على ثلاثة أنواع: صبر بالله وصبر لله وصبر مع الله.

فالأول: الاستعانة به، ورؤيته أنه هو المُصبِّر، وأن صبر العبد بربه لا بنفسه، كما قال تعالى: "وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللّهِ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلاَ تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ"، يعني إن لم يصبرك هو لم تصبر.

والثاني: الصبر لله، وهو أن يكون الباعث له على الصبر محبة الله وإرادة وجهه والتقرب إليه، لا لإظهار قوة النفس والاستحماد إلى الخلق وغير ذلك من الأعراض.

والثالث: الصبر مع الله، وهو دوران العبد مع مراد الله الديني منه، ومع أحكامه الدينية صابرا نفسه معها سائرا بسيرها، مقيما بإقامتها يتوجه معها أين توجهت ركائبها وينزل معها أين استقلت مضاربها، فهذا معنى كونه صابرا مع الله، أي قد جعل نفسه وقفا على أوامره ومحابه، وهو أشد أنواع الصبر وأصعبها وهو صبر الصديقين.

قال أحد السلف: المسير من الدنيا إلى الآخرة سهل هين على المؤمن، وهجران الخلق في جنب الله شديد، والمسير من النفس إلي الله صعب شديد، والصبر مع الله أشد،

أقسام الصبر

ينقسم الصبر باعتبار مُتعلّقه إلى ثلاثة أقسام: صبر على الأوامر والطاعات، وصبر عن المناهي والمخالفات حتى لا يقع فيها، وصبر على الأقدار والأقضية حتى لا يتسخطها، وهذه الأنواع الثلاثة هي التي قيل فيها: لا بد للعبد من أمر يفعله، ونهي يجتنبه، وقدَر يصبر عليه.

وينقسم باعتبار الأحكام الخمسة إلى واجب ومندوب ومحظور ومكروه ومباح.

فالواجب: الصبر عن المحرمات، والصبر على أداء الواجبات، والصبر على المصائب.

والمندوب: الصبر عن المكروهات، والصبر عن المستحبات، والصبر على مقابلة الجاني بمثل فعله.

والمحظور: الصبر على الطعام والشراب حتى يموت، والصبر عن الميتة والدم ولحم الخنزير عند الاضطرار إذا خاف بتركه الموت، ومن الصبر المحظور صبر الإنسان على ما يقصد هلاكه من سبُع ونحوه.

والمكروه: صبره على المكروه وصبره عن فعل المستحب، وكذلك الصبر على الطعام والشراب وجماع أهله، حتى يتضرر بذلك بدنه.

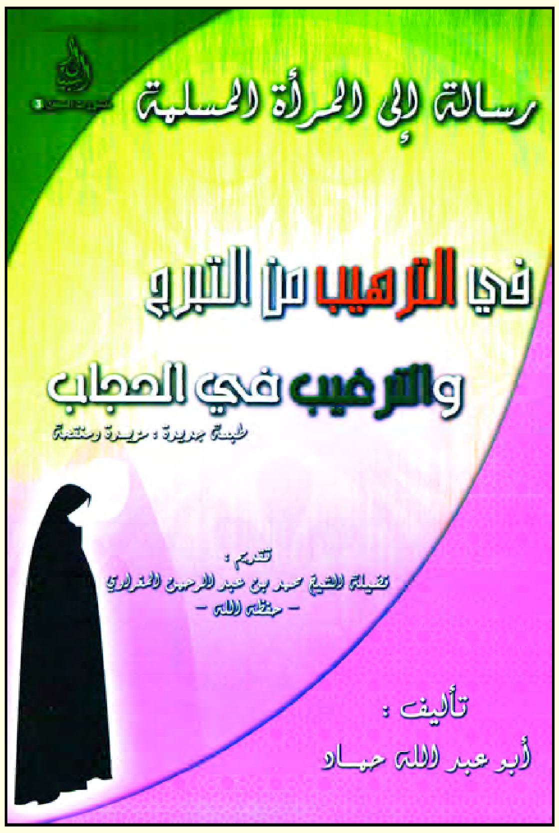
والمباح: هو الصبر عن كل فعل مستوي الطرفين خُيِّر بين فعله وتركه.

الصبر والتصبر

كثير من الناس يتعللون بأن طبائعهم تغلبهم وأنه ليس لديهم القدرة على التحمل والصبر، ولو جاهد أحدهم نفسه لكظم الغيظ وعف عن الحرام، ووسع صدره وقنع بما آتاه الله إياه، وتجلد على ما ابتلاه الله به حتى يكتسب هذا الخلق، فقد قال صلى الله عليه وسلم: "ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنيه الله ومن يتصبر يصبره الله..." رواه البخاري، ويوضح هذا المعنى الحافظ ابن حجر رحمه الله بقوله: "..يصبره الله: أي فإنه يقويه ويمكنه من نفسه، حتى تنقاد له ويذعن لتحمل الشدة، فعند ذلك يكون الله معه فيظفره بمطلوبه" الفتح304/11.

ولأن طعم الصبر مرٌّ فلا بد أن يتعهد الإنسان نفسه ويتزود بالصبر الجميل، ومما يعين المسلم على التصبُّر استحضار ما أعد الله للصابرين من تكفير السيئات ورفع الدرجات وتكثير الحسنات.

ويُعين المرء على ذلك كذلك تذكرُ سير الصالحين والتأسي بهم فحين ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن رجلا قدح في قِسْمَة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "يرحم الله موسى قد أوذي بأكثر من هذا فصبر" البخاري، وقد وجه القرآن إلى هذا المعنى فقال تعالى: "فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ".



"صدر بحمد الله كتاب الحجاب"